من بلاغة النبي [ﷺ] في إرشاد الأطفال وتعليمهم

الصحيحان نموذجاً

دكتور

هبة إسماعيل حسن إبراهيم

المدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالزقازيق

الملخـــــــص

إن رعاية حال المتكلم في كلامه لمقتضى الحال دليل علـــى بلاغتـــه وحسن بيانه ،وقد نبه العلماء جميعاً على أهمية رعاية مقتضى الحـــال عنـــد الخطاب ، وجعلوه أهم المقاييس التي تقاس بها بلاغـــة المـــتكلم ، ، وكـــان النبي(ﷺ) من المراعين لمقتضى الحال في جميع كلامه ومحاوراته ، ويعـــد ذلك من أوضح ماتحمله بلاغته (ﷺ)من صفات تعلو بها عن بيان بقية الناس ، وقد تعددت وجوه تلك الرعاية في كلامه لأحوال المخاطبين حسب الديانة أو الجنس أو العمر أو البيئة أو المنزلة أو السلوك أو غير ذلك ، واختلف نظـــم كلامه (ﷺ)مع كل فريق تبعًا لذلك ،ومن أظهر مايتبين منه إلقاء الكلام علـــى قدر عقول المخاطبين في كلامه، فقد كان خطابه (ﷺ) للأطفال وتعامله معهـــم مختلفاً عن خطاب غيرهم من أفراد المجتمع وفئاته حينذاك، ولما كان لحديثه (ﷺ)عن الأطفال خصائص تميزه عن غيره من الأحاديث الموجهة للكبار، لذا وجدت من المناسب بحث هذا الموضوع"أساليب الإرشاد النبوي مع الأطفـــال في الصحيحين.دراسة بلاغية تحليلية" لارتباطه بفئة عظيمـــة مـــن المجتمـــع المسلم بل والمجتمع الإنساني بكافة ، وذلك من خـــلال الدراســـة والتحليـــل للخطاب النبوي مع الأطفال.

جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين ، وقد تضمن التمهيد قسمين ،القسم الأول: مفهوم الإرشاد في سياق الدعوة، القسم الثاني : التعريف بالطفل لغة ، واصطلاحاً ، وأما المبحث الأول بعنوان:الأساليب البلاغية للإرشاد النبوي مع الأطفال ، والمبحث الثاني : بعنوان: من ملامح الإعجاز في السنة النبوية.

الكلمات المفتاحية: الإرشاد النبوي- الطفل المسلم- ملامح الإعجاز- بلاغية تحليلية- مقام الإرشاد.

دكتور

هبـــــة حســـــن

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالزقازيق، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

Hebaismail.67@azhar.edu.eg

Abstract

Taking care of the speaker's condition in his speech for the necessities of the situation is evidence of his eloquence and his good eloquence, and the scholars alerted all of the importance of taking care of the necessities of the situation when speaking, and made it the most important criteria by which the eloquence of the speaker is measured, and the Prophet (□) was one of the observant of the necessities of the situation in all his speeches and conversations This is considered one of the clearest attributes that his rhetoric (□) carries from the statement of the rest of the people, and there are many aspects of that care in his speech regarding the conditions of the addressees according to religion, gender, age, environment, status, behavior, or other things, and the systems of his speech (□) differed with Each group accordingly, and whoever shows what is clear from him uttering the speech according to the minds of the addressees in his speech, his speech (□) to children and his dealings with them was different from the speech of other members and groups of society at that time, and when his speech (□) about children had characteristics that distinguish him from other members of the community. The hadiths directed to adults, so I found it appropriate to discuss this topic "Methods of Prophetic guidance with children in the two Sahihs. A rhetorical and analytical study" because it is related to a great group of the Muslim community and even the human community in all, through the study and analysis of the Prophet's discourse with children.

The research came in an introduction, a preface, and two sections, and the preface included two parts, the first section: the concept of guidance in the context of the call, the second

section: introducing the child into language and terminology, and the first topic is entitled: Rhetorical methods for prophetic guidance with children, and the second topic: entitled: From Features of the miraculousness in the honorable Sunnah of the Prophet; Then the conclusion of the search, and indexes.

Keywords: Prophetic guidance -Muslim child -features of miraculousness - analytical rhetoric - the station of guidance.

Dr

Heba Hassan

Department of Rhetoric and Criticism,
Faculty of Islamic and Arabic Studies
for Girls in Zagazig, Egypt.
Hebaismail.67@azhar.edu.eg

المقـــدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير مـــن نطـــق وأفصح وأبان فأعجز، فكان للفصحاء قدوة، وللبلغاء إمامـــاً. اللهـــم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعـــد: فـــإن السنة النبوية الشريفة تعد المصدر الثاني للتشريع الإســـلامي وهـــي المبينة لما أجمل المصدر الأول القرآن الكريم، وهي بهـــذه المكانـــة عون للمسلم على عبادة ربه على بصيرة، سواء أكانت: قولا أم فعلا أم تقريرا، وقد كان دَيْدَن العلماء قـــديماً وحـــديثاً محـــدثين وفقهـــاء ولغويين وبلاغيين إظهار معانيها، وإبراز ما فيها من حكمـــة، ومـــا يتعلق بها من هدي، وسلوك قويم، ومما يعين المســـلم علـــى فهـــم الأحاديث النبوية فهماً شاملا وتذوق مواطن الجمـــال فيهـــا والدقـــة دراستها بلاغيا خصوصا أن صاحبها –عليه أفضل الصلاة والسلام– هو أبلغ البشر، فكلامه مليء بكنوز البلاغة، وأساليب الفصاحة.

وقد كان من خصائص حديثه البلاغية الظاهرة مراعاته حال من يخاطبه سواء أكان: رجلا أم امرأة أم طفلا مسلمين كانوا أو كتابيين أو مشركين كل حسب حاله وحسب المقام، ولما كـــان لحديثـــه مـــع الأطفال خصائص تميزه عن غيره من الأحاديث الموجهة للكبار، لذا وجدت من المناسب بحث هذا الموضوع" من بلاغة النبي(ﷺ) فـــي إرشاد الأطفال وتعليمهم الصحيحان نموذجاً "لارتباطه بفئة عظيمـــة

من المجتمع المسلم بل والمجتمع الإنساني بكافة، وذلك من خلال الدراسة والتحليل لهذا الخطاب النبوي الحكيم المؤيد من الله -تبارك وتعالى- مع الأطفال.

أسباب اختيار الموضوع

١. الرغبة الملحة في دراسة كلام أبلغ البشر وأفصحهم(ﷺ) وإخراج كنوز بلاغته وفصاحته للناس.

٢. لبيان أثر علوم البلاغة في خدمة السنة النبوية الشريفة.

٣. لبيان خصوصية الحديث مع الأطفال، واستلزامه مراعاة المقامات الخاصة المناسبة لهم إرشاداً أو تعليماً.

٤. للكشف عن قيمة "الأطفال" في تكوين المجتمعات البشرية فهم نواتها وأساسها.

٥. الرغبة في لفت الأنظار إلى أن البلاغة العربية علم حي مبهر محرك لنوازع الجمال في النفوس ومكامن العبقرية في العقول، متى ما وظفت توظيفاً صحيحاً ؛ لربط الناس بكلام الله- تبارك وتعالى-، ومن ثم كلام رسوله(ﷺ).

خطة البحث

تحوي هذه الخطة مقدمة، وتمهيداً، وثلاث مباحث، وخاتمة، وفهارس على النحو التالي: المقدمة وفيها: أسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهج البحث. التمهيد وفيه: قسمان، القسم الأول:

مفهوم الإرشاد لغة، واصطلاحاً، القسم الثاني: التعريف بالطفل لغة، واصطلاحاً، وأما المبحث الأول بعنوان: حديث الرسول(ﷺ) مع الأطفال في مقام الدعوة، والإرشاد، والمبحث الثاني: بعنوان: حديث الرسول(ﷺ) مع الأطفال في مقام التعليم.

والمبحث الثالث: بعنوان: خصائص البلاغة النبوية في إرشاد الأطفال وتعليمهم.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج.

منهج البحث

منهج الدراسة في هذا البحث -بإذن الله - هو المنهج الوصفي التحليلي، المتسم بالتحليل والتذوق للأحاديث الشريفة للوصول إلى مواطن الجمال فيها، والكشف عن الخصائص البلاغية والجمالية للخطاب النبوي الكريم مع الأطفال في مقام الإرشاد والتعليم مع مراعاة الآتي:

١- توثيق الأحاديث الشريفة بذكر مصدر الحديث ودرجة صحته.

٢- ضبط ألفاظ الأحاديث الشريفة بالشكل.

٣- توثيق النصوص والاقتباسات من مصادرها الأصلية.

٤- الترجمة للأعلام غير المشهورين إن وجدوا.

الباحثة

هبة إسماعيل حسن

التمهـــــــيد

توطـــئة:

طريقة التوجيه والإرشاد المباشر من أقرب الطُّرُق إلى مخاطبـــة عقل الطفل، وتبيين الحقائق له، وترتيب المعلومات الفكرية؛ ليحفظها مع فهمها؛ وهو ما يجعل الطفل أشدّ قَبولاً، وأكثر استعداداً للتلقـــي، أما اللفُّ والدوران فليس لهما في التعامل مع الطفل نصيبٌ، وهكـــذا علمَنا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم– أن نخاطبَ الطفلَ –فـــي كثير من المناسبات– خطاباً مباشراً، بصراحةٍ ووضوح.

أولا: التعريف بالإرشاد في اللغة:

الإرشاد: الهداية و الدلالة، وأرشده اللَّه، وأرشده إلـــى الأمـــر، ورشَّده: هداه، و إرشاد الضال هدايته الطريق(١).

اصطلاحاً: الإرشاد اصطلاحاً: هو عملية نفسية أكثر تخصصـــية، وتـــمثل الجزء العـــلمي في ميدان التوجيه الرحـــب، وتقـــوم علـــى علاقة مهنية (علاقة الوجه للوجه) بين المرشد والمسترشد، في مكان خاص يضمن سرية أحاديث المسترشد وفي زمن محـــدود أيضـــاً. والإرشاد عملية وقائية ونـــمائية وعلاجية، تتطلب تخصّصاً وإعداداً وكفاءة ومهارة، كون هذه العملية فرعاً مـــن فـــروع علـــم الـــنفس

(١) النهاية لابن الأثير /ج٢ ص٢٢٥.

التطبيقي، وإن خدمات التوجيه العامة وخدمات الإرشاد الخاصة تجمل عادة في مفهوم واحد وهو التوجيه والإرشاد.

ثانياً: التعريف بالطفل في اللغة:

جاء في القاموس المحيط: "والطفل بالكسر: الصغير من كل شيء، أو المولود، وولد كل وحشية أيضا، بَيّنَ الطَفَل والطفالة والطفولة والطفولية جمع أطفال"(١).

كما جاء التعريف في المعجم الوسيط مقتضباً: "والطفولة المرحلة من الميلاد إلى البلوغ، الطفولية، الطفولة"(٢).

إن التعريف الأول للطفولة اعتنى بوصفها، وذلك أدق، أما التعريف الثاني فقد اعتنى بزمنها دون وصفها، وبالجمع بين التعريفين وصفا وزمنا يتضح المعنى اللغوي لكلمة "الطفل".

ثالثاً: التعريف بالطفل في الاصطلاح:

سأجعل هذا التعريف الاصطلاحي مقسماً على فئتين:

١-تعريف الطفل في اصطلاح الفقهاء، قال بعض الفقهاء: "الصغير وصف في الإنسان من حين ولادته إلى أن يبلغ الحلم"(٣).

---

(١) القاموس المحيط، فصل الطاء: ١٠٢٥.

(٢) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، حرف الطاء: ٥٨٠.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة: ٣١٣/٢.

٢-**تعريف الطفل في اصطلاح علماء النفس والتربية**: وهو تعريف يقوم على تقسيم مراحل الطفولة زمنياً دون التطرق إلى تعريفاتهم الفلسفية المختصة بطبيعة دراساتهم: فـ "الطفولة المبكرة (ما قبل المدرسة) وتشمل المرحلة من سنتين إلى ست سنوات، الطفولة المتوسطة وتمتد من ست إلى تسع سنوات، الطفولة المتأخرة وتمتد من تسع إلى اثنتي عشرة سنة"(١).

ومما تقدم نجد واضحا أن الطفل هو الإنسان منذ ولادته حتى مرحلة البلوغ، وقد يطلق عليه غالبا الصبي أو الغلام من مرحلة التمييز إلى البلوغ، وهذا تخصيص بفترة عمرية معينة، جاء في المصباح المنير: "ويبقى هذا الاسم للولد حتى يميز، ثم لا يقال بعد ذلك طفل، بل صبي"(٢).

رابعاً: خصوصية الحديث الموجه للأطفال:

إن للحديث الموجه للأطفال خصائص تفرضها طبيعة مرحلة الطفولة وحاجاتها ومن هذه الخصائص لهذا الحديث أو الخطاب:

١) **الإيجاز**: أي أن يكون الخطاب أو الحديث الموجه للطفل موجزاً؛ لكي يستطيع استيعابه وفهمه وحفظه وذلك مما يعينه على التنفيذ.

---

(١) علم نفس النمو: ٢٢.

(٢) المصباح المنير: ١٤٢.

٢) **الوضوح**: إن وضوح الخطاب الموجه للطفل وبعده عن التعقيدين اللفظي والمعنوي أمر ضروري؛ لاستيعاب الخطاب ومعونة على التنفيذ والعمل بما فيه.

٣) **الحقيقة**: والمقصود بها في هذا الخطاب الابتعاد عن الأساليب المجازية في اللغة، والتي تحتاج إلى قدرات عليا في التفكير والخيال والتصور.

٤) **المراعاة لمقتضى الحال**: أو المقام الذي يكون فيه الطفل هو المخاطب مع مراعاة المتكلم لحاله ولجميع عناصر الموقف: من (متكلم)، و(مخاطب)، و(خطاب)، وغيرها، جاء في رعاية حال المخاطب في الصحيحين قوله: "وإنشاء الخطاب البليغ يتأثر بأحوال المتكلم والمخاطب، وما يحيط بهما من سياق، وليس التأثر بحال المتكلم وحده، وإن كان هو الذى ينشيء الخطاب، ولا حال المخاطب، وإن كان هو المقصود بالكلام ولا السياق الذي جرت فيه عملية التخاطب ولكن المتكلم البليغ يراعي هذه الأحوال جميعاً"(١).

وسوف تقتصر الدراسة على الأحاديث النبوية الصحيحة في صحيحي البخاري ومسلم، والتي انحصرت في المبحثيين التاليين.

(١) رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين: ١١.

المبحث الأول
حديث الرسول(ﷺ) مع الأطفال في مقام الدعوة، والإرشاد

ومما جاء في سياق الدعوة إلى الإسلام، ما أورده البخاري من رواية أنس بن مالك (رضي الله عنه)"قال: " كانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبيَّ (ﷺ)، فَمَرِضَ، فأتَاهُ النبيُّ (ﷺ) يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقالَ لـه: أسْـلِمْ، فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وهو عِنْدَهُ فَقالَ له: أطِعْ أبَا القَاسِمِ (ﷺ)، فأسْلَمَ، فَخَرَجَ النبيُّ (ﷺ) وهو يقولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ"(١).

وفي هذا الحديث زار الرسول (ﷺ) صبياً يهودياً كـان يخدمـه، وذلك بعد أن علم بمرضه، ويخاطبه بكلمة واحـدة هـي: "أسـلم"، والايجاز فيها واضح، وهو إيجاز قصر مناسب تماما للمقام، فالصبي أو الطفل اليهودي المميز في حالة احتضار، قد يموت في أي لحظة فكان الايجاز لازما يطلبه الحال والمقام ويقتضيه.

إن لفظة "أسلم" اختصرت جملتين عظيمتين، وفي ذلـك إيجـاز قصر(٢)، وهي: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، قد قالها الغلام، بعد استئذانه أباه بالنظر، ويقول الحـافظ ابـن

---

(١) صحيح البخاري، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعـرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث (١٣٥٦)، ٢/٩٤.

(٢) "إن الكلام القليل أن كان بعضا من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف، وإن كان كلاما يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر". عروس الأفراح: ١/١٠٣.

حجر – رحمه الله –: "قوله فأسلم في رواية النسائي فاقل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله"(١).

فكأن الطفل قد عرف الإسلام من قبل، فقد كان يخدم الرسول (ﷺ)، ويلاحظ أنه (ﷺ) لم يناده؛ لأن المقام ضيق جداً.

إن عظيم أخلاقه (ﷺ) ورحمته بالناس جميعاً تتجلى في حرصه على دعوتهم للإسلام، وإن كانوا لا يؤمنون به، فهو لا ينفك أبدا عن هذه الدعوة لكل أحد، ولو كان طفلا؛ رجاء أن ينقذهم الله تبارك وتعالى من النار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٢).

ومن الأحاديث الواردة في مقام الدعوة للإيثار، واحترام من هم أكبر سناً، حديث يظهر فيه تقدير شخصية الطفل واحترام حقوقه، وفي ذلك غرس للقيم والمبادئ الرفيعة في نفوس الأطفال.

فعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: أُتِيَ النبيُّ (ﷺ) بقَدَحٍ، فَشَرِبَ منه، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عن يَسَارِهِ، فَقالَ: يا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ، قالَ: ما كُنْتُ لِأُوثِرَ بفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يا رَسولَ اللَّهِ، فأعْطَاهُ إيَّاهُ" (٣).

---

(١) فتح الباري: ٢٨١/٣.

(٢) سورة الأنبياء.

(٣) صحيح البخاري، في كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم، رقم الحديث (٣٢٥١)، ١٠٩/٣.

ففي هذا الحديث خاطب الرسول (ﷺ) طفلا في مجلس فيه الأشياخ من الصحابة الكرام أصحاب الفضل والعلم والسابقة إلى الإسلام، والطفل جالس عن يمينه (ﷺ)، والبداءة باليمين سنة شرعية مرعية، فخاطبه (ﷺ) بالنداء بـ "يا غلام" والياء للبعيد، ولما كان من شأن الأطفال غالبا عدم الانتباه ناداه بـ "يا" تنزيلا له منزلة البعيد أو الغافل الساهي؛ ليتنبه للخطاب الآتي بعد النداء ويدرك مغزاه، ويأتي الاستفهام في هذا الموضع على أصله لغة دون اعتبار مجازي، والحديث فيه إشارة إلى احترامه (ﷺ) للأطفال واعتبارهم شخصيات لها حقوق تستأذن في التنازل عنها تخييراً لا إلزاماً، وهذا ما أفادته صيغة الاستفهام، ويقول بعض علماء النفس: "لقد مر في تجربتنا أن الأطفال الذين تحترم مشاعرهم، يميلون إلى احترام مشاعر الكبار"(١).

ومن الأحاديث الواردة في الدعوة إلى "العدل" بين الناس، ولو كانوا أطفالاً، وتربيتهم على ذلك، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: شرب النبي (ﷺ) وأنا عن يمينه، وخالد بن الوليد عن شماله، فقال النبى (ﷺ): "الشربةُ لكَ فإن شئتَ آثرتُ بها خالدا"، قال: "ما أوثرُ على سؤر رسول الله (ﷺ) أحدًا"(٢).

(١) كيف تتحدث فيصغي الصغار: ١٢٢.

(٢) فتح الباري ١٠/٨٦-٨٧

ففي هذا الحديث بعد فراغ النبي (ﷺ) من شرابه اللبن خاطب طفلاً هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما –، وميمونة أم المؤمنين – رضي الله عنها – هي خالته، وخالة الصحابي الجليل خالد بن الوليد (رضي الله عنه) كذلك، وقد كان عبد الله بن عباس جالسا عن يمينه فقال (ﷺ) له: "الشربة لك" ونلاحظ تقديم المسند إليه وتعريفه وذكره فقد ذكر المسند إليه وهو الشربة ولم يحذف لغرضين واضحين:

أولهما: استلذاذه، فاللبن من أهم الأشربة، وأكثرها فائدة للإنسان، والعرب كانت تقدمه للضيف؛ إكراما له.

وثانيهما: للتوضيح والتحديد، أن الأمر الذي خاطب فيه الرسول (ﷺ) الغلام والذي هو حق له، إنما هو "الشربة".

وتقديم المسند إليه للاهتمام بشأنه، حيث إنه هو مدار الخطاب وموضوعه فحسن تقديمه ولأن فيه تعجيلا للمسرة، لأن الأطفال عادة يفرحون ويدخل عليهم السرور بأي شيء يقدم لهم، وفيه تشويق للخبر بعده؛ إذ قد يدور في ذهن الطفل سؤال بعد قوله (ﷺ) "الشربة"، هل هي لي أم لغيرى، يقول الخطيب – رحمه الله – "وأما تقديمه فلكون ذكره أهم،... وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع؛ لأن في المبتدأ تشويقاً إليه، وإما لتعجيل المسرة"(١).

(١) التلخيص: ٧٤.

ومن التشويق للخبر وهو: لك بما تقضيه دلالة اللام من الملك أو الاختصاص، لهو مما يشوق إليه الانسان خصوصاً الطفل فغريزة التملك عنده أشد من غيره، وقد جاء في مواهب الفتاح: "لأن في تقديم المبتدأ تشويقاً إليه، أي إلى الخبر؛ لما معه من الوصف الموجب لذلك"(١).

إن تعريف المسند إليه وهو: "الشربة" الغرض منه الإشارة إلى معهود بين المتكلم والمخاطب، وهذا المعهود العلمي مدرك حسا في مجلس الخطاب، فحسن تعريفه بالألف واللام، وقد جاء في حاشية الدسوقي: "وقوله باللام للإشارة إلى معهود أي للدلالة على معين في الخارج"(٢).

إن كلمة: "آثرت" التي وردت في الحديث الشريف خطاباً للطفل هي عبارة مختارة بعناية دون مرادفاتها مثل: أعطيت، أو قدمت، وكلمة "آثرت" مشتقة من الإيثار وهو: تقديم الآخرين على النفس مع احتياج المؤثر، ويقول ابن فارس رحمه الله –: "أثر: الهمزة والتاء والراء ثلاثة أصول، تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي"(٣).

---

(١) مواهب الفتاح: ٢٢٠/١.

(٢) حاشية الدسوقي على السعد: ٦٠٤/١.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣٥/١.

وهذا اللفظ مناسب للمقام، فالطفل المخاطب تأتيه رسالة معينة من رسول الله (ﷺ) تضمنها اللفظ؛ ليتنبه الطفل إلى خلق إسلامي عظيم مذكور في كتاب الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1]، والغلام الذكي ابن عباس أدرك ذلك، ولكنه قدم فضيلة ؛ لنيل سؤر رسول الله (ﷺ) وهو حق له واضح من دلالة فعل المشيئة، "إن شئت" على التخيير، فاحترم رسول الله (ﷺ) رغبة الغلام وقدر ذكاءه فأعطاه الشراب.

إن بين الحديثين السابقين تشابهاً كبيراً، ترى فيه الباحثة مجالاً للمقارنة بينهما، فهما يدوران حول موضوع واحد وهو تقديم الجالس على يمينه (ﷺ) في الشراب، ففي قوله (ﷺ) في الحديث الثاني: "الأشياخ" حث للطفل على التنازل عن حقه في الشربة لمن هو أكبر منه سناً، وأعظم أثراً في الإسلام وسابقة، وقد جاء في لسان العرب قوله: "الشيخ": الذى استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب؛ وقيل: هو شيخ من خمسين إلى آخره؛ وقيل: هو من إحدى وخمسين إلى آخر عمره؛ وقيل: هو من الخمسين إلى الثمانين، والجمع أشياخ وشيخان وشيوخ"[2]، بينما في الحديث الأول لم يذكر (ﷺ) مزية لخالد (رضي الله عنه) على ابن عباس بل قال (ﷺ): "إن شئت آثرت خالدا"، وليس في

(١) سورة الحشر، آية: (٩).

(٢) لسان العرب مادة شيخ: ٣/٣١.

الخطاب حث على الإيثار كما يتبادر من لفظة الأشياخ في الحديث الأول؛ لأن خالداً كان ابن خالة ابن عباس وكان المجلس عائلياً، فترتفع فيه عادة الكلفة بين الحاضرين، وفي المجلس أم المؤمنين ميمونة – رضي الله عنها – خالتهما، والخالة بمثابة الأم، وبهذه المقارنة بين الحديثين تتجلى عظمة بلاغته (ﷺ) في الخطاب.

ومن الأحاديث الواردة في مقام الإرشاد، وبناء القواعد الشرعية، ما رواه: عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنه) قال: كنتُ غلامًا في حجْر رسول الله (ﷺ)، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة، فقال لي رسول الله (ﷺ): ((يا غلام، سَمِّ الله، وَكُلْ بيمينك، وَكُلْ مما يَليك)؛ فما زالتْ تلك طِعْمتي بعدُ"((١).

ففي هذا الحديث خاطب الرسول (ﷺ) غلاماً كان في حجره تحت رعايته ومسئوليته، وهو ابن زوجه أم سلمة – رضي الله عنها –، وقد قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: "في حجره بفتح الحاء، وسكون الجيم، أي في تربيته، وأنه يربيه في حضنه تربية الولد"(٢).

فيبدأ خطابه (ﷺ) بالنداء: يا غلام وأصل الياء لنداء البعيد، واستعملت في القريب تنزيلاً له منزلة البعيد، أو الغافل المشغول،

---

(١) صحيح البخاري ٢٠٥٦/٥ حديث رقم٥٠٦١، وصحيح مسلم١٥٩٩/٣ حديث رقم٢٠٢٢.

(٢) فتح الباري: ٦٤٧/٩.

فالطفل مقبل على الطعام غير ملتفت لأحد ولا مهتم بشيء سوى الطعام فكان النداء من النبي (ﷺ) تنبيهاً له؛ ليعي ما بعد النداء من تعليم وإرشاد إلى تصحيح عادة متكررة يومياً في حياة الإنسان، وهي عادة تناول الطعام، وبعد أن هيأ (ﷺ) الطفل ذهنيا ونفسيا لتلقي الإرشاد والتعليم شرع مباشرة في تعليمه، فقال له: "سم الله" وهي عبارة موجزة واضحة، فيها إيجاز حذف، فقد حذف الأمر "قل"، وجاء الإيجاز مناسباً للمقام، فالمقام مقام انشغال بتناول الطعام.

ثم عند قوله (ﷺ): "وكل بيمينك" إرشاد للطفل باستعمال اليد التي ينبغي أن يؤكل بها الطعام، والتي ينبغي أن تستعمل في الأمور الشريفة كلها، لذلك كان من هدية (ﷺ) أن يستخدم اليد اليسرى في إزالة الأوساخ والقاذورات ؛ لتبقى اليمين للأمور الشريفة التي ينبغى مراعاة النظافة فيها: كتناول الطعام والمصافحة وغيرها، ويقوم الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: "فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق والسيرة الحسنة اختصاص اليمين بالأعمال الشريفة والأحوال النظيفة"(١).

وفي العبارة إيجاز حذف يناسب المقام فقد حذف (ﷺ) الموصوف، وهو اليد وعبر عنه بالصفة، وهي يمينك، فلم يقل (ﷺ) بيدك اليمنى، لأنها الغرض الأهم بيانه، ثم إنه لابد من التناول باليد

(١) فتح الباري: ٦٤٨/٩.

في الأفعال المعتادة، ولأن الإيجاز أنسب لمقام التعليم والإرشاد في موقف كهذا، حيث إن نفس الطفل مقبلة على شهوتها، ويقول بعض علماء النفس حول الكلام الموجز وأهميته في خطاب الأطفال: "أخبرنا كثير من الآباء عن تقديرهم لمهارة الكلام الموجز، وأنهم يرون أنها توفر الوقت واللغو والتفسيرات المملة"(١).

إن قوله (ﷺ): "وكل مما يليك" عبارة موجزة إيجاز حذف، حيث حذف الجار والمجرور وتقدير العبارة قبل الحذف: وكل مما يليك من الصحفة والإيجاز مناسب للموقف، مراع للمقام، وهو إرشاد تربوي تعليمي يتسم بالعدالة والإنصاف ومراعاة آداب النظافة، والرقي والتحضر، ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – "لأن كل أحد كالحائز لما يليه من الطعام فأخذ الغير له تعد عليه مع ما فيه من تقذر النفس، مما خاضت فيه الأيدي، ولما فيه من إظهار الحرص والنهم"(٢).

وقد جاء الفصل بين جملة: "يا غلام" وجملة: "سم الله"، لشبه كمال الاتصال بتقدير سؤال بعد الجملة الأولى "يا غلام"، فكأن لسان حاله يقول: ماذا تريد أن تعلمني يا رسول الله"؟ فجاءت الجملة الثانية

(١) كيف تتحدث فيصغي الصغار إليك: ١٢٠.

(٢) فتح الباري: ٦٤٨/٩.

إجابة لها بالفصل؛ لضيق المقام، وفي مع ذلك مباردة وإسراع، وكأن الطفل المخاطب اشتاق لما سبق.

ثم جاء الوصل بين الجمل الثلاث "سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك"؛ لكونها جميعاً جملا إنشائية لفظا ومعنى، ولكون الجامع بينها أنها جميعها حول موضوع واحد هو آداب تناول الطعام، وكأن اقتران هذه الجمل متعاطفة يشعر الطفل المخاطب بأهمية مراعاتها جميعا.

ونجد عند قوله (ﷺ): لعمر بن أبي سلمة (رضي الله عنه): "وكل بيمينك، وكل مما يليك" سجعاً متوازياً متساويَ القرائن أو الفقرات، ويظهر جليا ورود هذا السجع تابعا للمعنى، لم ينقص منه شيئا، وهو مراع لمتقضى الحال أو المقام أو الموقف التعليمي الذي يحسن فيه السجع لسلاسة ألفاظه، وتناغمه وحلاوة جرسه وانتظام إيقاعه، مما يجعل الطفل المخاطب يقبل عليه بلهفة، ويسارع إلى حفظه والعمل به، وقد تحقق ذلك الأمر، فراوي هذا الحديث هو صاحب الموقف، ولم يروه إلا عن كبر سن.

ومن ذلك ما جاء عن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال أخذ الحسن بن علي – رضي الله عنهما – تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له النبي (ﷺ): "كِخْ كِخْ" ليطرحها، ثم قال: "أَمَا شَعَرْتَ أنّا لا نَأْكُلُ

الصَّدَقَة"[(١)]، وفي هذا الحديث طفل يقدم على تناول طعام أمامه (ﷺ) ومن البدهي أنه غير متصور لمسألة حل الطعام أو حرمته، فيخاطبه معلم الناس الخير (ﷺ) بعبارة "كِخْ" لينهاه ويزجره عن تناول هذا الطعام وهو التمر، جاء في القاموس المحيط: "وكِخْ: كلمة تكره وتأوه. والكِخْ: القذر، ويكسر، وكِخْ بالكسر: صوت إناخة الجمل، وبمعنى "كخ"، أي: اطرح، وقد يفتح فيهما"[(٢)].

ويقول الإمام الطيبي – رحمه الله – موضحاً هذه الكلمة: "وهي كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات، يقال: كخ أي اترك، وارم"[(٣)].

وقد وضح الحافظ ابن حجر – رحمه الله – الغرض من استعمال كلمة "كخ". فقال: "بفتح الكاف، وكسرها، وكسر المعجمة، وهي كلمة لردع الصبي، عند تناوله ما يستقذر"[(٤)].

وتكرير النبي (ﷺ) لكلمة كخ هو نوع من أنواع الإطناب يسمى "التكرير" والغرض منه تأكيد النهي وإنذار الطفل عن مقاربة هذا

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي (ﷺ)، رقم الحديث (١٤٩١)، ١٢٧/٢.

(٢) القاموس المحيط (ص: ٢٤٨).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ١٥٠٢/٥.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٤٤٧/٣.

الفعل، وفيه مراعاة للمقام وحال الطفل حيث إن الأطفال يفهمون ويعون أكثر بالتكرار.

قال: ابن يعقوب المغربي[1] – رحمه الله –: "والمراد بالإنذار التخويف، وهذا مثال للنكتة الحاصلة بالتكرار"[2].

ثم يثني (ﷺ) في خطابه لهذا الطفل بقوله: "أما شعرت؟"، والاستفهام لا يقصد به السؤال المتعارف عليه، ولا يريد (ﷺ) من الطفل إجابة وإنما جاء هذا الاستفهام إنكارياً، والإنكار منصب على عدم شعور الطفل بحرمة الأكل من الصدقة، فجاء الاستفهام إنكارياً؛ لينبهه على خطورة هذا الأمر وتأديبه، وهو مناسب للمقام ومراع له، وللموقف الحاصل؛ لغرض تأديبه، وإرشاده وتعليمه وتنبيهه على أن هذا الفعل لا ينبغي له، وقد يكون الخطاب كذلك لإرشاد من يسمع من الكبار.

وقد جاء في الجملة الاستفهامية تأكيد لفظ "أنا" للمبالغة في التحذير لهذا الطفل وتعليماً له، منذ نعومة أظفاره؛ ليتربى وينشأ مدركاً أهمية هذا الأمر ورسول الله (ﷺ) يقدم لهذا الطفل معلومة قيمة تبقى معه طوال حياته، وقد تحقق ذلك، يقول العلامة بدر الدين

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب المغربي، من أهل فاس، توفي بمكناس، له شروح عديدة، منها: شرح رسالة الشريف الجرجاني، وشرح منظومة الجوهر المكنون للأخضري وغيرها، توفي سنة ١١٢٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي: ٢٤١/١.

(٢) مواهب الفتاح: ٦٥٩/١.

العيني[1] – رحمه الله –: "وحديث الحسن بن علي – (ﷺ) – من رواية أبي الحوراء قال: كنا عند الحسن بن علي فسئل ما عقلت من النبي (ﷺ) قال كنت أمشي معه، فمر على جرين من تمر الصدقة، فأخذت تمرة، فألقيتها في فمي.... الحديث"[2].

وهنا فائدة نفسية تربوية تتجلي من خلال خطابه (ﷺ) لهذا الطفل، وهي كون المعلومات التي تعطى للأطفال في صغرهم تنفعهم في حياتهم وسلوكهم، وتكون لهم عادة حسنة مهما تقدم بهم السن، وقد توصل بعض الباحثين إلى هذا الأمر حديثا فقال: "إن ما نحبه في إعطاء المعلومات للطفل هو أنك تقدم بها له هدية يستعملها دائماً، وسيحتاج طول حياته أن يعرف أكثر"[3].

ثم إن للحديث رواية أخرى جاءت بصيغة: "ألقها أما شعرت فإنها لا تحل لنا الصدقة"[4] ورواي الحديث هو الحسن بن علي (ﷺ) صاحب القصة في الحديث السابق، عندما كان طفلاً، مما يدل على

---

(١) هو محمود بن أحمد بن موسي بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني، له مؤلفات عديدة، منها: عمدة القاري في شرح البخاري، مختصر شرح شواهد الألفية، ويعرف بالشواهد الصغرى، وطبقات الشعراء، توفي – رحمه الله – سنة ٨٥٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي: ١٦٣/٧.

(٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: ١١٣/٩.

(٣) كيف نتحدث فيصغي الصغار إليك: ١١٨.

(٤) صحيح البخاري٥٤٢/٢ حديث رقم١٤٢٠.

بقاء أثر التوجيه والإرشاد في نفسه وانتفاعه به، وهنا يبدأ الخطاب النبوي الكريم بقوله (ﷺ): "ألقها" دون كخ كخ والتي وردت في الحديث السابق، وقد يكون الراوي رواها هكذا "ألقها" بالمعنى ولم يروها بقوله: "كخ كخ" والتي هي الرواية الأصح، وهي كذلك أقرب لفهم الطفل وأنسب لزجره، ولفعل الأمر في هذا الموضع دلالة بلاغية واضحة، هي الإيجاز في الكلام، فلم يقل (ﷺ) ألق التمرة يا حسن، والإيجاز إيجاز حذف مناسب تماماً لمقتضى الحال أو الموقف وخصوصاً أن المخاطب طفل، ويحتمل أن رسول الله (ﷺ) أراد أن يربط توجيه الطفل وإرشاده بالموقف نفسه، ليكون أثبت في نفسه وأنفع له، والاحتمال الآخر أن يكون ذلك بسبب رواية الحديث بالمعنى.

ثم إن للكلام الموجز آثاراً حسنة على نفس الطفل تعود عليه بفهم ما يتعلمه وإدراكه بوضوح، وكذلك تُحَسّن من سلوكياته، وقد توصل بعض الباحثين إلى مثل هذا المعنى فقالوا: "إن قيمة التعبير الموجز تكمن في أنه بدلاً من استعمال الأسلوب القاسي مع الطفل نعطيه فرصة؛ ليمارس مبادراته وذكائه الخاص"(١).

وقد يلاحظ أمر في نظم جملة الاستفهام في الرواية الأولى، ونظمها في الرواية الثانية، فقوله (ﷺ) في الحديث الأول: "أما

(١) كيف نتحدث فيصغي الأطفال إليك: ١٢٠.

شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟" وفي الحديث الثاني "أما شعرت أنها لا تحل لنا الصدقة؟"، والسؤال الذي يمكن أن يدور في الذهن هو: هل كلمة "نأكل" الواردة في الرواية الأولى – والتي تراعي حال الطفل وفهمه – مرادفة لكلمة "تحل" والتي وردت في الرواية الثانية، حيث فهمها الرواي فرواها بالمعنى بقوله "ألقها" وهي كلمة تؤدي الغرض، أم أن لكل منهما معنى تؤديه بوضوح ضمن سياقها؟ إن كلمة "نأكل" أشمل وأعم من كلمة "تحل" فالأكل قد يكون حلالا أو حراما، وهي مفردة تناسب الصغير في السن، ويسهل عليه فهمها واستيعابها، وأما كلمة "تحل" مطابقة للمعنى، حيث نقله الراوي بالمعنى، ولا تستعمل هذه الكلمة إلا فيما يحل فقط، وهو الحلال الذي أحله الله ورسوله (ﷺ)، وهنا تكمن الفائدة، وهي أن المؤمن ينبغي أن يكون تناوله للأشياء من باب الحل فقط، وفيما سبق توجيه وإرشاد لهذا الطفل ولسائر أطفال العالم لهذا الأمر النبوي الكريم، وكما ورد في المثل: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر".

إن الجملة الاستفهامية ثرية بالمعاني، وغنية بالدلالات، يقول الشيخ العلامة محمد أبو موسى في سياق حديثه عن تركيب الجملة الاستفهامية: "ثم إن الجملة لا تتكون من هذه المفردات وحدها، لأن هذه المفردات لا يقوم بها كلام، ولا تفيد فائدة، يحسن السكوت عليها، وإنما يحسن السكوت عليها إذا أجريت وراءها خيطاً من

العقل والحس، يربط بعضها ببعض، ويجعل كل واحدة منها بسبب من الأخرى"(١).

فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ)مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ عِنْدَ أُطُمِ(٢) بَنِي مَغَالَةَ(٣)، وَقَدْ قَارَبَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ صَيَّادٍ يَحْتَلِمُ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ (ﷺ) ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) " أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟". فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ(٤)، فَقَالَ:

---

(١) دلالات التراكيب: ٢١٤.

(٢) الأطم بالضم: بناء مرتفع، وجمعه آطام. النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٥٤/١.

(٣) قال القاضي عياض رحمه الله –: "وبنو مغالة: كل ما كان عن يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد النبي (ﷺ، وقال بعضهم: بنو مغالة حي من قضاعة". إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٤٧٣/٨.

(٤) هو عبد الله بن صائد، وهو الذي يقال له ابن صياد، كان أبوه من اليهود، ولا يدرى من أي قبيلة هو، وهو الذى يقال: إنه الدجال، ولد على عهد رسول الله (ﷺ) أعور مختونا، ومن ولده عمارة بن عبد الله بن صياد، وكان من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن المسيب، روى عنه مالك وغيره، قال ابن حجر – رحمه الله –: "وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صياد فى الصحابة، لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعا، لأنه يموت كافرا، وإن كان غيره فهو حال لقيه النبي (ﷺ) لم يكن مسلما". الإصابة في تمييز الصحابة: ١٤٨/٥.

أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ. فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ (ﷺ): أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) "آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ" قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "مَاذَا تَرَى؟". قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ. قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) "خُلِطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ؟". قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) "إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا". قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ. قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) "اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ"(١).

ففي هذا الحديث بدأ الرسول الكريم (ﷺ) خطابه مع هذا الصبي ابن صياد بقوله مستفهماً: "أشهد أني رسول الله؟" وذلك لإعطائه الفرصة وهو الصبي غير المؤمن بالإسلام ولا بنبيه (ﷺ)، ليتحدث عن نفسه ويعبر عن حقيقة اعتقاده، وليعرض عليه كذلك الاسلام، فيرد الصبي رد اليهود الذين هم قومه، والذين يعرفون الحق وينكرونه، بقوله: "أشهد أنك رسول الأميين" ثم يسأل ابن صياد رسول الله (ﷺ) قائلاً: "أتشهد أني رسول الله؟" فيجيب النبي الكريم (ﷺ) بإجابة بليغة: "آمنت بالله ورسله" أي أنك يا ابن صياد لست من رسل الله، ويقول الطيبي(٢) – رحمه الله –: "والكلام خارج على

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم (٣٠٥٥)، ٤/٧٠.

(٢) هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان، من كتبه التبيان في المعاني والبيان، توفي – رحمه الله – سنة ٧٤٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي: ٢/٢٥٦.

إرخاء العنان أي: آمنت بالله ورسله، فتفكر هل أنت منهم"[١]، وابن صياد ليس من رسل الله، ورسول الله (ﷺ) لا يشهد بالكذب، وعدول النبي (ﷺ) عن الإجابة بمثل: لا أشهد أو ما أشهد هو استدراج لابن صياد، ليستمر في كلامه ويخرج مكنونات اعتقاده وأعماله المتصلة بالشياطين، والتي هي من أعمال الكهنة، فيتضح أمره وحقيقته للناس، وخصوصاً للصحابة الكرام، ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: "قال القرطبي: كان ابن صياد على طريقة الكهنة يخبر بالخبر، فيصح تارة ويفسد أخرى، فشاع ذلك، ولم ينزل في شأنه وحي، فأراد النبي (ﷺ) سلوك طريقة يختبر حاله بها أي: فهو السبب الحقيقي في انطلاق النبي (ﷺ) إليه"[٢]، ثم بادره (ﷺ) باستفهام آخر يتيح له به المجال؛ ليتكلم ويفصح عن حقيقة أحواله، فقال: (ﷺ): ما ذا ترى"؟، ولهذا السؤال حكمة بلاغية، فقد جاء في إرشاد الساري" ثم قال لابن صياد، ليظهر كذبه المنافي لدعواه الرسالة ما ذا ترى"[٣].

فأجاب ابن صياد يأتيني صادق وكاذب، فقال له رسول الله (ﷺ): خلط عليك الأمر. وقد جاء في النهاية: "يقال خولط فلان في عقله

(١) شرح الطيبي: ٣٤٧١/١.
(٢) فتح الباري: ٢٠٨/٦.
(٣) إرشاد الساري: ١٠٣/٩.

مخالطة إذا اختل عقله"[١]، كما أنه قد جاء في إرشاد الساري: "خلط عليك الأمر بضم الخاء المعجمة وتشديد اللام المكسورة أي خلط عليك شيطانك ما يلقي إليك"[٢]، وجاء فيه أيضاً: "قوله خلط: أي ما يأتي به شيطانك، فخلط معناه أنه كان له تارات يصيب في بعضها، ويخطئ في بعضها، فلذلك التبس عليه الأمر"[٣].

وتخليط الأمر على ابن صياد هو بسبب تعاقب الشياطين عليه بين صادق وكاذب، وذلك مما جعله لا يرى الحق حقا، فيؤمن برسول الله (ﷺ).

وفي هذه العبارة النبوية "خلط عليك الأمر" جاء المسند إليه معرفاً بالألف واللام، وذلك للإشارة إلى معهود في الخطاب أو الحوار السابق لهذه العبارة، حيث أجاب ابن صياد عند سؤال رسول الله (ﷺ) له "ما ذا ترى" فأجاب: "يأتيني صادق وكاذب"، فهذا الإتيان لابن صياد مرة بالصدق ومرة بالكذب، هو من الشياطين الذين هم إخوان الكهنة، وهو الأمر المعهود قريباً في الحوار؛ لذلك كان تعريف المسند إليه أخصر طريق وأوضحه للتنبيه على حقيقة أمر ابن صياد.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/٥٧.

(٢) إرشاد الساري: ٩/١٠٤.

(٣) المصدر السابق (١٠/٣٤٧٢).

وهذا الأمر المعهود بين المتكلم والمخاطب واسع المعنى، محتمل لعدة دلالات مجازية مرتبطة في أصلها بالمعنى الحقيقي للعهد(١).

ويلاحظ أنه (ﷺ) قُدِّم الجارُ والمجرور المتعلقان بالمخاطب وهو ابن صياد على المسند إليه وهو العمدة، وهذا التقديم يفيد اختصاص ابن صياد بتخليط الأمر عليه وحده، وقصر ذلك عليه، وكأنه قصر إضافي فالحوار بينه وبين رسول الله (ﷺ).

ثم جاء السؤال أو الاستفهام الأخير منه (ﷺ) لتكتمل سلسلة الاستفهامات بالاستفهام الرئيس، وهو كون ابن صياد دجالاً من الدجاجلة يتعامل مع الشياطين، ويلقون إليه المعلومات والكلام مشوشاً أو ناقصاً، فيقول (ﷺ): "إني قد خبأت لك خبيئا" والاستفهام مقدر في آخر الجملة الخبرية، أي فما هو؟ فقال ابن صياد: هو الدخ، ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: "فإن عند أحمد عن عبد الرزاق في حديث الباب وخبأت له "يوم تأتي السماء بدخان مبين" وأما جواب ابن صياد بالدخ، فقيل إنه اندهش فلم يقع من لفظ الدخان إلا على بعضه"(٢).

---

(١) "وأصل العهد الإدراك، واللقاء حسا، فاستعمل في مطلق الإدراك المتقدم، لاستلزم اللقاء للإدراك في الجملة". مواهب الفتاح: ١٧٩/١.

(٢) فتح الباري: ٢٠٨/٦.

وقال الرسول (ﷺ) لابن صياد "اخسأ فلن تعدو قدرك"، والأمر للتحقير والزجر، فابن صياد قد تجاوز قدره، وادعى ما ليس عنده، فكان المناسب زجره وتأييسه من محاولة ما يصبو إليه من ادعاء علم الغيب، وقد جاء في التحرير والتنوير عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾[1] (اخْسَئُوا) زَجْرٌ وشَتْمٌ بِأَنَّهم خاسِئُونَ، ومَعْناهُ عَدَمُ اسْتِجابَةِ طَلَبِهِمْ. وفِعْلُ خَسَأ مِن بابِ مَنَعَ ومَعْناهُ ذَلَّ. ونُهُوا عَنْ خِطابِ اللَّهِ والمَقْصُودُ تَأْييسُهم مِنَ النَّجاةِ مِمّا هم فِيهِ[2].

ومناسبة هذا التحقير للمقام تظهر في كون ابن صياد ظن أنه استطاع كشف الغيب وأحس بالعظمة في نفسه، وما ذلك إلا من تلاعب الشيطان به مما يسترقه له من كلام الناس، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: "احتمال أن يكون النبي (ﷺ) تحدث مع نفسه أو أصحابه بذلك أي: الدخان، قبل أن يختبره، فاسترق الشيطان ذلك أو بعضه"[3].

وقد جاء بدر الدين العيني بتعريف أوسع للفظة أخسأ: "أخسأ، فلن تعدو قدرك، أي لست بنبي، ولن تجاوز قدرك، وإنما أنت كاهن، فلن تجاوز يعني قدر الكهان، قوله "اخسأ" في الأصل لفظ يزجر به

(١) سورة المؤمنون، آية: ١٠٨.
(٢) التحرير والتنوير: ١٢٩/١٨.
(٣) فتح الباري: ٢٠٩/٦.

الكلب، ويطرد، من خسأت الكلب خسأ طردته، وخسأ الكلب نفسه يتعدى ولا يتعدى، واخسأ أيضاً، وهو خطاب زجر واستهانة، أي: اسكت صاغراً مطروداً"(١).

ويلاحظ كون المسند إليه في "تعدو" ضميراً، لأن المقام مقام خطاب، وجعل المسند إليه ضميراً أخصر للكلام وأنسب للمقام حيث يحصل كمال التعيين للمخاطب.

واستخدام أداة النفي "لن" مع الفعل المضارع هي الأنسب للحال والمقام ؛ حيث يوضح الرسول (ﷺ) أن هذا الكاهن الآن وقت المحاورة، وفي المستقبل لن يعدو قدره بل سيظل كأمثاله من الكهان والدجاجلة في التخليط والتخبط ما بقي، ولو خاطبه الرسول (ﷺ) بقوله: لم تعد قدرك لكان ذلك إخباراً عن حاله في الماضي فقط دون الحاضر والمستقبل، إن ذلكم الحوار الذي دار بين رسول (ﷺ) وابن صائد قد كشف حقيقته للناس جميعاً، فلن يرتاب أحد بعد ذلك في حقيقة أمره، وقد جاءت هذه القصة برواية أخرى، فعن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: لقي نبي الله (ﷺ) ابن صائد ومعه أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – قال وابن صائد مع الغلمان، فقال له رسول الله (ﷺ): "أتشهد أني رسول الله؟ فقال نبي الله (ﷺ): "آمنت بالله، وبرسوله" قال فقال رسول الله (ﷺ): "ماذا ترى؟" قال: أرى عرشاً على الماء، فقال (ﷺ): "ترى عرش

(١) عمدة القارئ: ٢٤٧/٨.

إبليس على البحر" قال: انظر ما ترى، قال: أرى صادقين وكاذبين، فقال رسول الله (ﷺ): "لبس على نفسه فدعاه"(١).

وفي هذا الحديث ظهر في خطابه (ﷺ) لابن صياد عند قوله: "أتشهد أني رسول الله"، أنه يعرض عليه الإسلام ؛ حيث كان هذا الصبي من يهود المدينة، والعبارة مكونة من جملتين: كبرى وصغرى، حيث إن في كل منهما إسناداً، وذلك مما يقوي العبارة، ويجعلها تحمل معاني التأكيد والاهتمام بهذا الأمر، وكأن هذا الاستفهام خارج عن معناه إلى الحث على الاستجابة، وقد سبق بالجملة الدعائية "تربت يداك"، وقد ورد في رواية ابن مسعود (رضي الله عنه) في صحيح مسلم "تربت يداك، أتشهد أني رسول؟"(٢)، ففي الجملة الأولي، وهي: الخبرية لفظاً الانشائية معنى، والتي تحمل معنى التحذير والوعيد والأمر التوبيخي بمعنى: أشهد بأني رسول الله، وإن لم تفعل فقد تربت يداك، أي التصقتا بالتراب حسرة وندامة(٣)، وفي هذا حث لابن صائد على فعل المأمور به والاهتمام به.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، رقم الحديث (٢٩٢٥)، ٤/٢٢٤١.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، رقم الحديث (٢٩٢٤)، ٤/٢٢٤٠.

(٣) جاء في النهاية: "وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بهذا الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به، كما يقولون قاتله الله. وقيل معناها الله=

وهذا الأسلوب يظهر حرصه (ﷺ) على نجاة كل إنسان، بغض النظر عن كونه عربياً أو غير عربي فهو (ﷺ) حريص على إسلام هذا الصبي اليهودي.

والاستفهام في قوله (ﷺ) مخاطبا ابن صائد، " ما ترى؟" يراد به إعطاء الفرصة للمخاطب ليتحدث عن نفسه وأحواله؛ لتظهر حقيقة أمره للحاضرين والسامعين، فأجاب ابن صياد، أرى عرشا على الماء فقال (ﷺ): "ترى عرش إبليس على البحر".

وقوله (ﷺ) هذا فيه توضيح لحقيقة أمر ارتباط هذا الصبي بالشياطين وتلقيه منهم، وقد خصص رسول الله (ﷺ) هو المؤيد بالوحي خصص ووضح طلاسم هذا الكاهن بتعريفه للعرض عند ما أضافه للشيطان الرجيم إبليس، ثم زاد توضيحاً وتخصيصاً لكلمة ابن صياد: على الماء، بأن هذا الماء هو "البحر" فمياه الأرض متنوعة، ثم يعود (ﷺ) عليه بالسؤال، لتتضح حقيقة ما يدعيه من كونه رسولا من الله، فيخاطبه (ﷺ) "انظر ما ترى؟" وفي هذا التركيب المكون من جملتين كبرى وصغرى يتكرر الإسناد للاهتمام والتأكيد حتى يحفظ رسول الله (ﷺ) بهذا الحوار المنصف مع ابن صياد على الناس إيمانهم وصفاء عقيدتهم، فيجيب ابن صياد: أرى صادقين وكاذبين،

=درك. وقيل أراد به المثل ليري المأمور بذلك الجد وأنه إن خالفه فقد أساء". النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/١٨٤.

وهذا اعتراف منه بالتخليط وتلبيس الحق بالباطل والصدق بالكذب عنده.

وعند قوله (ﷺ) – لابن صياد: "خلط عليك الأمر" استعارة تبعية[1]، فقد استعار (ﷺ) لفظة "خلط" بدلاً من "اشتبه" ؛ لتدلنا هذه الصورة على مدى ما وصل إليه حال ابن صياد من التخبط واشتباه الأمور عليه؛ حتى صارت مختلطة في ذهنه، ولا يؤدي هذا المعنى بصورته التي تشعر بحقيقة ما وصلت إليه حال ابن صياد النفسية من هذه الصورة البيانية الرائعة.

فرسول الله (ﷺ) يسأل ابن صياد سؤالاً إجابته محددة "أشهد" أو "لا أشهد" فلا يجيبه الرسول ﷺ بأي منهما ولكن أجاب عن سؤاله إجابة لا يتوقعها ولا ينتظرها السائل (ابن صياد) وهي قوله ﷺ "آمنت بالله ورسله".

إن خلق رسول الله (ﷺ) وهو الخلق العظيم، يأبي أن يرد على المعاند الجاحد إلا بكمال الأدب واللطف، لذا جاء الرد النبوي الكريم بالأسلوب الحكيم، وفي الأسلوب الحكيم لطف في الرد وتأدب يليق بكل متكلم، وقد جاء في عروس الأفراح: "وفيه لطف باعتبار الرد على

(١) الاستعارة التبعية: قال الخطيب القزويني – رحمه الله –: "وإلا فتبعية كالفعل وما يشتق منه". التلخيص: ص٣٢٦

المتكلم على وجه بلغ الغاية في التأدب وعدم المواجهة بالرد"[1]، كما أن الموقف مع الصبى موقف الحوار والمناظرة، والذي يستلزم بطبيعته – كما يقول العلماء – التنُّزل للخصم ومجاراته للوصول إلى الحق، فلو أجاب (ﷺ) بغير الأسلوب الحكيم كأن يقول: "لا أشهد، أو يا كاذب"، لانتهى الحوار، وضاعت فرصة إسلام الصبي، ويحتمل إن مثل هذا الأسلوب الحكيم قد تسبب في إسلامه[2]، فرسول الله (ﷺ) أرسل رحمة الله للعالمين.

إن من أعظم النكات أو الفوائد التي جاء بها الأسلوب الحكيم في هذا الحديث: هي تنبيه المخاطب بشكل غير مباشر إلى الاهتمام، والتركيز على الإجابة التي جاء بها بالأسلوب الحكيم، إذ يرى المتكلم أنها أجدى، وأنفع للسائل، والجدير به أن يهتم بها.

---

(١) عروس الأفراح: ٢٧٤/٤

(٢) "وإن كان قد ظهرت منه علامات الخير وصحة الإسلام والإقلاع عن مقاله قبل، وحجه وجهاده مع المسلمين – والله أعلم – وقد ترجم الطبري وغيره عليه في تراجم الصحابة". إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض: ٤٦٦/٨. قال ابن حجر – رحمة الله–: "وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صياد في الصحابة، لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعا، لأنه يموت كافرا، وإن كان غيره فهو حال لقيه النبي ﷺ لم يكن مسلما، لكنه إن كان مات على الإسلام يكون كما قال ابن فتحون على شرط كتاب الاستيعاب". الإصابة في تمييز الصحابة: ١٤٩/٥.

ومن الأحاديث الواردة في المقام نفسه، ما جاء عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان النبي (ﷺ) يعوذ الحسن والحسين: "أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللّهِ التّامّاتِ مِنْ كُلّ شَيْطَانٍ وَهَامّةٍ وَمِنْ كُلّ عَيْنٍ لامّة، ثم يقول: إن أَبَاكُمَا كان يُعَوّذُ بهما إسماعيلَ وإسحاقَ"(١).

ففي هذا الحديث خاطب الرسول (ﷺ) طفلين هما سبطاه بخطاب يرشدهما فيه للاستعاذة بالله وحده؛ ليغرس العقيدة والإيمان في نفوس الأطفال منذ نعومة أظفارهم.

فيبدأ (ﷺ) بعبارة "أعيذكما بكلمات الله التامة" قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: "قوله": "بكلمات الله" قيل: المراد بها: كلامه على الإطلاق، وقيل: أقضيته، وقيل: المراد بـ "التامة": الكاملة، وقيل: النافعة، وقيل: الشافعية، وقيل: المباركة، وقيل: القاضية التي تمضي وتستمر ولا يردها شيء ولا يدخلها نقص ولا عيب"، وبهذا الشرح لهذه الكلمات الثلاث يتبين مدى الإيجاز في عبارة الرسول (ﷺ)، وهو إيجاز قصر، جمعت فيه الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة.

ثم بَيّنَ (ﷺ) ببيان موجز كل ما يخشاه الإنسان على نفسه من سوء وضرر فقال: "من كل شيطان وهامة"، يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: "من كل شيطان" يدخل تحته شياطين الإنس والجن،

(١) صحيح البخاري ١٢٣٣/٣ حديث رقم٣١٩١.

وقوله: "وهامة" – بالتشديد – واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل: كل ما له سم يقتل... وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء"(١).

فالعبارة موجزة إيجاز حذف؛ إذ حذف في كل عبارة ألفاظ كثيرة بينها، وفصلها العلماء وشراح الحديث، ثم يأتي قوله (ﷺ): "ومن كل عين لامة"، جاء في النهاية: "ومن كل عين لامة" أي: ذات لمم"(٢).

وهذا اللّم مما يخشاه كل إنسان لضرر العين المعلوم، وجلبها – عياذا بالله – للآفات، والأمراض لمن أصابته بل وقد تصيبه بالجنون؛ لذلك جاءت العبارة موجزة إيجاز حذف؛ لتغني ألفاظها القليلة عن التطويل والإسهاب.

إن الخطاب الموجز للطفل لهو من تمام مراعاة مقتضى الحال، فهو مناسب لقدراته العقلية، وحصيلته اللغوية القليلة، وهو عامل مهم كذلك في سرعة الحفظ، ومن ثم الفهم والاستيعاب، كما أن الإيجاز يجعل الطفل متعاوناً متجاوباً مع من يعلمه، لذلك يوصي بعض الباحثين فيقول: "ولأجل الوصول إلى الترغيب في التعاون مع الأطفال أوجز الكلام الموجه إليهم"(٣).

---

(١) فتح الباري: ٤٩٧/٦.

(٢) النهاية في غريب الحدث والأثر: ١٦٨/٤.

(٣) كيف تتحدث فيصغي إليك الصغار: ٨٩.

إن عدوله (ﷺ) عن مخاطبة الطفلين بقوله إبراهيم عليه السلام، فقال مكان ذلك: – في رواية البخاري –: "إن أباكما"(١)، هو عدول من رسول الله (ﷺ) عن لفظ إلى آخر ولا يكون إلا لغرض، والغرض المهم هو موافقة القرآن الكريم عند قوله تعالي: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾(٢)، قال بعض المفسرين: "وإنما جعله أباهم، لأنه أبو رسول الله (ﷺ)، وهو كالأب لأمته من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية، ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة"(٣)، والغرض هو الإشعار بمعنى الأبوة وما يتضمنه من حنان وحرص ورحمة لأولاده وخوفه عليهم من كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بهم، كما أن التثنية في قوله (ﷺ): "إن أباكما" إشعار بالتخصيص لهما يزيدهما تعلقا بهذا التعوذ؛ إذ ألف الاثنين لا تدل إلا على خطاب الاثنين، وفي لفظ الجمع في قوله (ﷺ): "كان أبوكم" إشعار بالأبوة العامة لجميع المؤمنين وتكريم وتبجيل لإبراهيم عليه السلام، مما المخاطبين بالاقتداء به عليه الصلاة والسلام.

وفي قوله (ﷺ): أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة" سجعٌ ذو ثلاث فواصل، يملأ الأسماع بأصوات

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب، رقم الحديث (٣٣٧١) ١٤٧/٤.
(٢) سورة الحج آية: ٧٨.
(٣) تفسير البيضاوي: ١٤٣/٤.

عذبة سلسة متناسقة، لا تنقص المعاني حقها، فالمعاني مستوفية لكل ما سبقت لأجله في الفواصل، وكل فاصلة تكمل معنى الأخرى؛ لتضيف معنى آخر جديداً، فالمعنى الأول هو الاستعاذة بكلمات الله، وهو الأصل الذي ينبغي الابتداء به، والاستعاذة أمر عام، فجاء تفصيل هذا الأمر العام بفقرات مسجوعة استوفت كل ما يخافه الإنسان على نفسه وولده من شر الشياطين والهوام عند قوله (ﷺ): "من كل شيطان وهامة" وكذلك من شر العين، والتي هي حق عند قوله (ﷺ): "ومن كل عين لامة".

إن المد اللازم في "هامة" و "لامة" يزيد التناسب بين الألفاظ، ولعله يضبط حفظ الطفل، كما أن الطفل عندما تقع كلمات مسجوعة على مسامعه، يجد لها خفة وراحة وطربا يهش ويقبل بها على الحديث، فيسهل عليه حفظه، والتعوذ به دائما، وهذا ملاحظ ومشاهد، وهو من الأذكار اليومية للمسلم، أو مما ينبغي أن يكون كذلك ، وفي قوله ﷺ "كان أبوكم يعوذ بها إسماعيل، وإسحاق" محسن معنوي، وهو تشابه الأطراف، فلما كان رسول الله (ﷺ) يعلم هذين الطفلين المباركين، وكذلك جميع المؤمنين أطفالا وراشدين، لما كان يعلمهما الاستعاذة بالله من الشرور، ناسب ذلك ذكر إبراهيم عليه السلام، وأنه كان يعوذ ولديه إسماعيل وإسحاق – عليهما السلام – بهذه الاستعاذة المباركة، وذلك شأن الأبوة فرسول الله (ﷺ) أب معنوي لكل المؤمنين تعليماً

وإرشاداً حباً وشفقة وحرصاً على الخير، ودفعاً ومقاومة لكل ما قد يتربص بهم من شرور، تنغص عليهم صفو الحياة كشرور الشياطين والعين والحسد، بل ومن كل هامة ضارة، أياً كان نوعها، وتتضح مراعاة الحال، والمقام؛ بإيراد هذا المحسن، حيث كان دليلاً على ما سبق من الكلام، وموضحاً لحقيقة الأبوة وما تعنيه من عطف وحنان.

ومن الأحاديث الواردة في إرشاده (ﷺ) الأطفال لكيفية إكرام الأضياف ما جاء عن الصحابي الجليل أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: "تزوَّجَ رسولُ اللَّهِ (ﷺ) فدخلَ بأَهْلِهِ، قالَ: فصنعَت أمِّي أمُّ سُلَيْمٍ حَيسًا فجعلتهُ في تورٍ[1]، فقالت: يا أنسُ، اذهَب بِهَذا إلى رسولِ اللَّهِ (ﷺ) فقل: بَعثَت بِهَذا إليكَ أمِّي وَهيَ تقرئُكَ السَّلامَ وتقولُ: إنَّ هذا لَكَ منَّا قليلٌ يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: فذَهَبتُ بِهِ إلى رسولِ اللَّهِ (ﷺ) فقلتُ: إنَّ أمِّي تقرئُكَ السَّلامَ وتقولُ: إنَّ هذا منَّا لَكَ قليلٌ، فقالَ: "ضَعه"، ثمَّ قالَ: "اذهَب فادعُ لي فلانًا وفلانًا وفلانًا ومن لَقيت"، وسمَّى رجالًا، قالَ: فدعوتُ من سمَّى ومن لقيتُ، قالَ: قُلتُ لأنسٍ: عددُ كم كانوا؟ قالَ: زُهاءَ ثلاثِ مائةٍ قالَ: وقالَ لي رسولُ اللَّهِ (ﷺ): يا أنسُ هاتِ بالتَّور قالَ: فدَخلوا حتَّى امتلأتِ الصُّفَّةُ والحُجرةُ، فقالَ رسولُ اللَّهِ (ﷺ): ليتحلَّق عَشرةٌ عشرةٌ وليأكل كلُّ إنسانٍ مِمَّا يليه"، قالَ: فأَكَلوا

(١) التور: إناء من صفر أو حجارة يتوضأ منه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/١٩٩.

حتَّى شبِعوا، قالَ: فخرَجَت طائفةٌ ودخلت طائفةٌ حتَّى أَكَلوا كلُّهم، قالَ: فقالَ لي: "يا أَنَسُ ارفع"، قالَ: فرفَعتُ فما أدري حينَ وضعتُ كانَ أَكْثرَ أم حينَ رفَعتُ"(١).

وفي هذا الحديث بدأ الرسول (ﷺ) خطابه مع الطفل الذى جاء يحمل الطعام له ولضيوفه بقوله: "ضعه" والخطاب يناسب المقام، حيث تعجيل الطعام للضيوف، فيه تعجيل للمسرة لهم، ثم يخاطبه (ﷺ) بعبارة "اذهب فادع فلانا وفلانا ومن لقيت" وهو خطاب يناسب المقام، والفصل بين جملتي "يا أنس"، و"هات التور" الإنشائيتين؛ للتوسط بين الكمالين إذ يقدر سؤال من المخاطب بعد الجملة الأولى وهو: ماذا تريد مني يا رسول الله؟ ومن الأغراض التي يؤديها الفصل الاختصار؛ إذ هو المناسب لمقام التعجيل بإكرام الأضياف.

والفصل بين جملتي "يا أنس" و"ارفع" الإنشائيتين؛ للتوسط بين الكمالين، وهو فصل يراعي المقام؛ كونه مقام تعجيل إكرام الضيوف ينبغي فيه المسارعة بالأفعال، والمقتضي لحذف بعض الكلام في موضعي الفصل السابقين والذي اقتضاه التعجيل بالضيافة، وهو

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، رقم الحديث (١٤٢٨)، ٢/١٠٥١.

حذف السؤال المقدر بعد الجملة الأولى: ماذا تريد مني يا رسول الله؟، كما أنه (ﷺ) قد حذف لفظة "التور" ثانيا بعد أن ذكرها أولاً.

إن الاقتضاب في الكلام الذى ظهر في هذا الحديث بأي أسلوب بلاغي هو مناسب لخطاب الطفل، والذي يتسم عادة بقلة الانتباه لمن يخاطبه، فهو للعب واللهو أميل، وفيهما أكثر رغبة، وهذا الخطاب المقتضب الموجز يحفزه على التعاون مع الكبار، لذا يقول بعض علماء نفس الأطفال: "لترغيب الأطفال في التعاون مع من يخاطبهم ينبغي إيجاز الكلام"(١).

ونجد ضمن أحاديث الأطفال ما يظهر بوضوح أسلوب الحوار الهادئ والراقي مع المخالف والذى يعتمد الاستفهام الذي يتيح للمخاطب التعبير بحرية عن ما يعتقده مهما كان هذا الاعتقاد فاسداً أو خاطئاً، وبعد التحليل للحديث سنلحظ مدى حكمته وبلاغته (ﷺ) ومراعاته الكاملة لمقام الإرشاد والدعوة إلى الإسلام.

ومن الإرشاد في سياق الحديث عن الأحكام ما نُقل عن عبد الله بن عباس(رضي الله عنهما) أنه قال:

(١) كيف تتحدث فيصغي الصغار إليك: ١٠٩.

"قدم النبي(ﷺ) على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة وقال: أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا، فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله(ﷺ)"[1]

الخطاب هنا لبني العباس صغارهم وكبارهم وفيهم عبد الله بن عباس، وقد كان مميزاً بحيث وعى الأمر والتزم به مع بني العباس، وقد ذكر أنه ممن أتى بالنبيذ للنبي (ﷺ) بدلالة قوله: (فأتيناه)، والأمر في قوله(ﷺ): (كذا فاصنعوا) يشير إلى السقيا من النبيذ، أي مثل ذلك فافعلوا، ويراد به الإرشاد إلى ما يجب عليهم فعله مع الحجيج من سقايتهم النبيذ وخدمتهم، والنبيذ هو ماء محلى بذبيب أو غيره بحيث يطيب طعمه، ولا يكون مسكراً[2] وقيل: هو تمر ينبذ في ماء[3] ولما كان هذا الأمر متعلقاً بأمر من أمور الشريعة الظاهرة من فعل الأمر "فاصنعوا" هو الوجوب ؛ لذلك قال ابن عباس ومن معه: "فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله(ﷺ) وقد اقترن فعل الأمر بثناء النبي(ﷺ) على صنيعهم في السقاية من النبيذ بقوله لهم: "أحسنتم وأجملتم" أي فعلتم الحسن الجميل، ويؤخذ منه استحباب

---

(١) صحيح مسلم٢/٩٥٣ حديث رقم ١٣١٦ باب وجوب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق.

(٢) عمدة القارئ ١٥/٥٥.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم ٩/٦٤

الثناء على أصحاب السقاية وكل صانع جميل[1] وقد حرص بنو العباس وصبيانهم على الحفاظ على سلامة الحجيج من النبيذ دون العسل واللبن إنفاذاً لأمره، وهو من تمام السنة، وقيل باستحبابه.[2]

(١) السابق ٦٤/٩.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٥٦/٣، والمنهاج شرح صحيح مسلم ٦٤/٩.

المبحث الثاني

حديث الرسول(ﷺ) مع الأطفال في مقام التعليم

فعن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – "أن رسول الله (ﷺ) غير اسم عاصية(١)، وقال: أنت جميلة"(٢).

وفي هذا الحديث خاطب الرسول (ﷺ) طفلة بعد أن عرف اسمها فلم يرضه، فيقول لها: أنت جميلة، واسمها غير مرغوب فيه شرعاً؛ لما فيه من الإيماء إلى تلبس المسمى بما سمي به أو ببعضه من العصيان، جاء في تحفة الأحوذي: "كانوا يسمون بالعاص والعاصية ذهاباً إلى معنى الإباء عن قرب النقائص والرضا بالضيم، فلما جاء الإسلام نهوا عنه"(٣).

إن المسند إليه "أنت" هو ضمير خطاب، وإيقاعه للإشعار بخصوصية توجيه الخطاب إلى هذه الطفلة.

---

(١) عاصية: ابنة لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه). انظر: شرح النووي على مسلم: ١١٩/١٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، رقم الحديث (٢١٣٩)، (١٦٨٧/٣).

(٣) تحفة الأحوذي: ٢٥٣/٧.

إن الرسول (ﷺ) يغرس في نفس هذه الطفلة بعبارته هذه أن اسمها عاصية ليس فيه جمال، وأن الجمال مطلوب ومحبوب، وله تقديره ليس فقط في المظاهر والأخلاق بل حتى في أسماء الناس.

وعند قوله (ﷺ): "أنت جميلة" للطفلة التي كان اسمها عاصية، يظهر محسن معنوي، هو: "المطابقة" للجمال مع العصيان، فـ "عاصية" في حقيقة الكلمة قبح، وشين، بيد أن المطابق لـ "عاصية" بديهة هو كلمة طائعة أو مطيعة، فالطاعة مطابقة للعصيان، ولما كان العدول عن كلمة طائعة من رسول الله (ﷺ) عدولاً عن التزكية للنفس، وهو الأمر المنهي عنه في القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[1]، وقال رسول الله (ﷺ): "لا تزكوا أنفسكم، إن الله أعلم بأهل البر منكم"[2]، ولم يشأ أن يسميها طائعة، أو مطيعة، واختار (ﷺ): في المقابل كلمة "جميلة"، ليقرر (ﷺ) ويعلم الطفلة وسائر الأطفال أن الطاعة هي جمال كامل في حد ذاتها،

---

(١) سورة النجم آية: ٣٢.

(٢) أخرجه صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما رقم الحديث: (٢١٤٢)، ١٦٧٨/٣.

وحقيقتها جمال، والتطابق[1] في الحديث اعتباري يهدف إلى غاية وهي التعليم والإرشاد النبوي الكريم.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ. فَكَانَ يَقُولُ: «التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لله، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ"[2].

حَدَّثَ طاووس عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن رسول الله(ﷺ) كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، قال مسلم ابن الحجاج: بلغني أن طاوساً قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك؟ فقال: لا، قال: أعد صلاتك لأن طاوساً رواه عن ثلاثة أو أربعة أو كما قال"[3].

---

(١) التطابق هو: "الجمع أى في الذكر بين متضادين أي معنيين متضادين في الجملة، اي سوءا أكان التقابل من وجه ما، أن من كل وجه، وسواء أكان التقابل حقيقيا أو اعتباريا". عروس الأفراح: ٣٢٩/٤.

(٢) صحيح مسلم ٤٠٣.

(٣) صحيح مسلم ٤١٣/١، حديث رقم ٥٩٠ باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

يتفق الحديثان في أن راويهما واحد هو ابن عباس (رضي الله عنه) وفي مجيء الإخبار عن ذلك بلفظ "كان.... يعلمنا" أو "يعلمهم" مما يدل على أن تلك كانت عادته(ﷺ) مع ابن عباس و مع أصحابه وأهل بيته وفيهم ابن عباس[1]، وفي كونهما تعليماً للصبي أمراً من أمور دينه في الصلاة، وفي وقوع حال النبي(ﷺ) في التعليم مشبهاً ومشبهاً به في آنٍ واحدٍ، وهو أبلغ في البيان والدلالة على تساويهما في الأهمية والاعتناء، والجامع بين تعليم كل من التشهد والدعاء وتعليم السورة من القرآن هو العناية والاهتمام بهما والتحقق لبركاتهما والاحترام لهما، وهو دليل على الاهتمام بأمر التشهد والدعاء، وأنه متأكد مرغب فيه استدلالاً بتشبيه ذلك بتعليم السورة من القرآن، فهو تشبيه "يدل على الاعتناء التام البالغ حده بالصلاة والدعاء، وأنهما تلوان للفريضة والقرآن"[2] والمشبه به: "كما يعلمنا السورة من القرآن" أشهر في الدلالة على الاهتمام بالشيء المتعلم من المشبه ؛ وذلك لوثاقة طرائق تعليم القرآن وتنوعها عن غيره.

وفي هذين الحديثين نشاهد عبد الله بن عباس يحكي جانباً من مشاهد طفولته مع الرسول(ﷺ) وهو يُعلم الأطفال أمور دينهم في سن مبكرة كالكبار بما يتناسب مع عقليتهم واستعدادهم، فلا يصعب

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢/٧٥٣.
(٢) شرح القسطلاني ١٠/٣٧٢.

عليهم إتيانه وتعلمه، متلطفاً بهم في التعليم، فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر وقد جاء هذا التشبيه في مواطن متعددة من الحديث النبوي في تعليم الاستخارة والتشهد والتكبير والدعاء والخطبة[1] ووجه التشبيه فيها جميعاً هو عموم الحاجة إلى قراءة القرآن بصورة صحيحة في الصلاة وغيرها.

أما تعليم التشهد لابن عباس فيقول ابن بطال: "قال ابن عمر: كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكُتَّاب."[2]

وفعل أبو بكر ذلك اقتداء بسنة النبي(ﷺ) في تعليم التشهد لابن عباس وغيره، وقد ذكر الشراح أن الجامع بين تعليم التشهد وتعليم السورة من القرآن هو شدة حاجتهم إلى التشهد في الصلاة كشدّة حاجتهم إلى حسن قراءة القرآن في كل الصلوات[3]، وفيه ما كان من شفقته بأمته وإرشادهم إلى مصالحهم دينا ودنيا.

---

(١) ينظر: في الاستخارة، صحيح البخاري ٥٧/٢، وفي التشهد، صحيح مسلم ٣٠٢/١، وفي التكبير، الآثار لمحمد بن الحسن ١٤٣/١، وفي الخطبة، المسند للشاشي ٣٧/٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٣٢/٧.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح١٥٥/٩.

يقول ابن حجر: "وقال ابن أبي جمرة: التشبيه في تحفظ حروفه وترتب كلماته ومنع الزيادة والنقص منه والدرس له والمحافظة عليه، ويحتمل أن يكون من جهة الاهتمام به والتحقق لبركته والاحترام له، ويحتمل أن يكون من جهة كون كل منهما علم بالوحي"(١).

وفي هذا الصنيع تلطف في التعليم يدل على وجوب الرفق بالمتعلم الصغير، والتأني في إيصال المعلومات إليه، وفي الحديث إعتناء بأمر هذا التشهد، حيث إن النبي(ﷺ) كان يعتني بتعليمه للأطفال كعنايته بتعليم القرآن، فينبغي التمسك به، يقول الهروي: "والدليل على أهمية التشهد الأمر به وتشبيهه بتعليم القرآن، ولأن في لفظه ما يدل على زيادة ضبطه لفظ رسول الله(ﷺ) وهو قوله: "كما يعلمنا السورة من القرآن"، وفيه أن التعليم كان مشتركا بينه وبين غيره"(٢).

وفيه أيضاً: أن هذا التشهد لايسوغ أن يزيد فيه الإنسان ولا ينقص منه ولا يغير نطقه ؛ لقوله: "كما يعلمنا السورة من القرآن"،

---

(١) فتح الباري ١١/١٨٤.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢/٣٧.

يعني أنه حفظني نطق ذلك، فليس له أن يغير هذا النطق إلى غيره، ولا أن يرويه بالمعنى[١].

وقد اختلف العلماء في وجوب التشهد وفي ألفاظه، فقيل: واجب، وقيل سنة[٢] وذهب سفيان الثوري والكوفيون في التشهد إلى حديث ابن مسعود عن النبي(ﷺ)، وذهب مالك إلى ترجيح لفظ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وهو على المنبر يعلم الناس التشهد، يقول: قولوا التحيات لله الزكيات لله الطيبات الصلوات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وقد رجح اختيار الشافعي لتشهد ابن عباس: " بأن اللفظ الذي وقع فيه ما يدل على العناية بتعلمه وتعليمه، وهو قوله" كان يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران" وهذا ترجيح مشترك؛ لأن هذا أيضاً ورد في تشهد ابن مسعود كما ذكر المصنف، ورجح اختيار

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح٢/٣٧.

(٢) نيل الأوطار من حديث سيد الأخيار، للشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي ، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ،١٩٩٣م)، ٢/٣٢٤.

الشافعي بأن فيه زيادة "المباركات" وبأنه أقرب إلى لفظ القرآن، قال الله تعالى: "تحية من عند الله مباركة طيبة"(١).

وجميع روايات التشهد ثابتة بألفاظ متقاربة فلا يمنع واحد منها " فهي ألفاظ متشابهة متقاربة واحتمل أن تكون كلها ثابتة، وأن يكون رسول الله (ﷺ) يعلم الجماعة والمنفردين التشهد فيحفظ أحدهم على لفظ، ويحفظ الآخر على لفظ يخالفه، لا يختلفان في معنى أنه إنما يريد به تعظيم الله جل ثناؤه وذكره والتشهد والصلاة على النبي(ﷺ)، فيقر النبي(ﷺ) كلا على ما حفظ، وإن زاد بعضهم على بعض، أو لفظها بغير لفظه لأنه ذكر.... وما سوى القرآن من الذكر أولى أن يتسع هذا فيه إذا لم يختلف المعنى"(٢).

أما تعليم الدعاء بالاستعاذة لابن عباس فهو تعليم الطفل وتعويد له منذ صغره قيمة الالتجاء لله تعالى والرجوع إليه في أمور المعاش والمعاد على السواء، وفيه حرص منه (ﷺ) على تعليم هذا الدعاء والتدرج في تحفيظه، والتأني في تلقينه كما كان يفعل في تعليم القرآن الكريم ترفقاً بالمتعلم، وقول طاووس عن ابن عباس:" كان

---

(١) النور ٦١، ينظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ٣٠٦/١، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، بدون تاريخ.

(٢) اختلاف الحديث للإمام الشافعي ٦٠٠/٨، الناشر: دار المعرفة، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن " فيه "دليل على تأكده وما ندب إليه من تحفظ ألفاظه"[١] فهو "تشبيه في تحفيظ حروفه وترتيب كلماته ومنع الزيادة والنقص منه والدرس له والمحافظة عليه"[٢]

وتعليم هذا الدعاء كتعليم السورة من القرآن معناه أنهم يتتبعونه حرفاً حرفاً، وكان ذلك بصوت مسموع؛ لأنه(ﷺ) " كان أحياناً يسمع من يليه دعاءه، كما كان أحياناً يسمع من يليه الآية من القرآن"[٣] قال أبو عمر: "كان رسول الله (ﷺ) يعلم أصحابه الدعاء فيحضهم عليه ويأمرهم به ويقول: إن الدعاء هو العبادة.... وقد قالوا: إن الدعاء مع العبادة ؛ لأن فيها الإخلاص والضراعة والإيمان والخضوع، والله يُحب أن يُسأل ؛ ولذلك أمر عباده أن يسألوه من فضله"[٤].

وفي الحديث تعليم الدعاء بالاستعاذة من ذلك كله ومن فتن الدنيا والآخرة وفتنة المحيا والممات وفيه أيضاً "أن الدعاء بما كان يدعو

---

(١) المنتقي شرح الموطأ للتجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفي:٤٧٤هـ) ٣٥٨/١،الناشر: مطبعة السعادة، مصر، ط الأولى ١٣٣٢هـ.

(٢) شرح القسطلاني ٢١٦/٩.

(٣) فتح الباري ٣٣٩/٧.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٨٥,١٨٦/١٢.

به رسول(ﷺ) ينبغي أن يمتثل ويرغب فيه، ففيه الأسوة الحسنة والهدى المستقيم"[١].

وتعليم الصغير هذا الدعاء من سننه(ﷺ) وهديه، فقد روي عمرو بن ميمون الأودي، قال: "كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة، ويقول: إن رسول الله (ﷺ) كان يتعوذ منهن دبر الصلاة..."[٢] وفي هذا الأثر بعد لفظ هذا الحديث، وفيه حسن اقتداء وامتثال لفعل النبي(ﷺ)، وقوله: "إن طاووساً رحمه الله تعالى أمر ابنه حين لم يدع بهذا الدعاء فيها بإعادة الصلاة" يدل على تأكيد أمر هذا الدعاء والتعوذ في الصلاة، والحث الشديد عليه، يقول النووي " وظاهر كلام طاووس- رحمه الله تعالى- أنه حمل الأمر به على الوجوب، فأوجب إعادة الصلاة لفواته، وجمهور العلماء على أنه مستحب ليس بواجب، ولعل طاووساً أراد تأديب ابنه وتأكيد هذا الدعاء عنده، لا أنه يعتقد وجوبه، قال القاضي عياض: "ودعاء النبي(ﷺ) واستعاذته من بعض هذه الأمور التي قد علما أنه عوفي منها وعصم ليلزم نفسه خوف الله وإعظامه والافتقار إليه، ولتقتدي به أمته، وليَسُنَّ في الدعاء والضراعة، وهي حقيقة العبودية".[٣].

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفي:٤٦٣هـ) ٥٣٣,٥٣٥/٢، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي عوض، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، ط الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) صحيح البخاري ٢٣/٤ حديث رقم ٢٨٢٢ باب ما يتعوذ من الجبن.

(٣) شرح المشكاة للطيبي ١٠٥٠/٣.

وقوله: " قولوا اللهم إنا نعوذ بك " أمر يقصد به التعليم، وقوله: "أعوذ" تعليم للطفل الالتجاء إلى الله تعالى، وكرر "أعوذ بك " في كل واحدة تعليماً للطفل، والتكرار من طرق التعليم المناسبة للطفل، كما أن تكرير الاستعاذة مع كل عمل فيه "إظهار لعظم موقع هذا العمل، وأنه حقيق بإعادة مستقلة".(١)

وقوله "وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات" في خاتمة الدعاء من باب ذكر العام بعد الخاص لأن العذاب مرتب على الفتنة والسبب غير المسبب، وقيل" فتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر وفتنته الممات السؤال في القبر مع الحيرة، وهو من العام بعد الخاص؛ لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا".(٢)

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧٥٣/٢.

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ ٥٣/٢.

المبحث الثالث
خصائص البلاغة النبوية في إرشاد الأطفال وتعليمهم

أولاً: حسن التعبير والبيان:

ويقصد به تحسين العبارة وخفتها وجريانها على أوزان وإيقاعات رقيقة كما في التوازي، والسجع وحسن النداء، ومراعاة الإيجاز، وغير ذلك، وقد جاء كل ذلك مناسباً لطبيعة الطفل من حست ميله الفطري للعب والأنغام القصيرة الصالحة للترقيص ونحوه، ومن حيث محدودية حيز خبراته وتجربته، ومن حيث تركيزه على المحسوسات دون المعنويات، ومن حيث درجة نضجه العقلي والوجداني، وقد جد في الدرس الأدبي المعاصر مايسمى بأدب الطفل، ويقصدون به: ذلك النوع من الفن الأدبي الذي يشمل أساليب مختلفة من النثر والشعر المؤلفة بشكل خاص للأطفال والأولاد دون عمر المراهقة، وهو يتكئ على عنصرين رئيسين: هما صحة العبارة وجمالها، ثم قوة تأثيرها الوجداني والفكري.(١) وقد راعى النبي(ﷺ) ذلك في أحاديثه وخطاباته مع الأطفال، فإنهم فئة مهمة من فئات المجتمع الذي رباه النبي(ﷺ) ورعاه.

---

(١) ينظر: في أدب الأطفال د/ محمد صالح الشنطي ص٥٧ /طبع دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية،ط الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

ثانياً: حسن الخطاب:

ويقصد به تنوع صيغ المخاطبة في مواطن ورودها حسب السياق المقامي وقد تحقق ذلك في نداءاته(ﷺ) في الصحيحين للأطفال، وفي حواره الهادي معهم.

ثالثاً: الارتباط الوثيق بالسياق المقامي:

فاللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لضوابط وعوامل اجتماعية، منها علاقة المتكلم بالمستمع من حيث المكانة الاجتماعية، والجنس، والعرق، والعمر، والدين، ومدى الألفة والقرابة، فضلاً عن طبيعة موضوع الحديث، والمواقف والقيم الاجتماعية، ونوع الخطاب، ولما كان الرسول(ﷺ) بصفته نبياً ورسولاً يتحمل مسؤولية تبليغ الإسلام إلى الناس، فلا مناص له من استخدام جميع وسائل الكلام لاستيفاء المهمة، فكان(ﷺ) حريصاً على أن يخاطب كل قوم بل كل فرد بقدر حاله، وأن تكون ألفاظه وأساليبه ملائمة لما يوظفه في مخاطبتهم من صور بيانية يقرب بها البعيد، ويوضح بها الغامض، فكان يخاطب كل قوم على قدر عقولهم، وكان ذلك من أدبه الشريف.

رابعاً: الأساليب الإنشائية:

"الأسلوب الإنشائي يطلق على الكلام الذي لا تحتمل نسبته الصدق والكذب، لعدم قصد حكاية تحققها في الخارج كما في

الخبر"[1]، وقسمها البلاغيون إلى أساليب إنشائية طلبية، وهي مالا تستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب)[2].

وتشمل أساليب الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء[3]، وأساليب إنشائية غير طلبية، وهي ما تستدعي مطلوبًا، ومن صيغة أفعال المقاربة، وأفعال المدح والذم، وصيغ العقود، والقسم، ولعل، ورُبَّ، وكم الخبرية، ونحو ذلك)[4].

أولاً: أسلوب الأمر:

لم يرد الأمر بمعناه الحقيقي في خطاب الطفل بما يدل على التكليف والإلزام على جهة العلو، لكونه ليس محلاً لذلك، لكنه خرج إلى معاني أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال، كالإرشاد وذلك في مقام الدعوة وبناء الأحكام الشرعية والتعليم.

وذلك في خمس مواضع:

أ- في سياق الدعوة إلى الإسلام، ما أورده البخاري من رواية أنس بن مالك (رضي الله عنه)"قال: " كانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبيَّ (ﷺ)، فَمَرِضَ، فأتَاهُ النبيُّ (ﷺ) يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقالَ لَه: أَسْلِمْ،

(١) مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي (٤٧٨/١).
(٢) المطول ص٢٢٤.
(٣) السابق ص٢٢٤.
(٤) السابق نفسه ص٢٢٤.

فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وهو عِنْدَهُ فَقالَ له: أطِعْ أبَا القَاسِمِ (ﷺ)، فأسْلَمَ، فَخَرَجَ النبيُّ (ﷺ) وهو يقولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ"(١).

ب- في سياق الحديث عن الأحكام وبناء القواعد الشرعية، وتعليم الطفل آداب الطعام: ما رواه: عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنه) قال: كنتُ غلامًا في حجْر رسول الله (ﷺ)، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة، فقال لي رسول الله (ﷺ): ((يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يَليك)؛ فما زالتْ تلك طِعْمتي بعدُ"(٢).

ج- ومن الأمر الوارد للإرشاد في سياق الحديث عن الأحكام: ما نُقل عن عبد الله بن عباس(رضي الله عنه) أنه قال:

" قدم النبي(ﷺ) على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة وقال: أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا، فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله(ﷺ)"(٣)

---

(١) صحيح البخاري، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث (١٣٥٦)، ٩٤/٢.

(٢) صحيح البخاري ٢٠٥٦/٥ حديث رقم٥٠٦١، وصحيح مسلم١٥٩٩/٣ حديث رقم٢٠٢٢.

(٣) صحيح مسلم٩٥٣/٢ حديث رقم ١٣١٦ باب وجوب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق.

(٤) عمدة القارىء ٥٥/١٥.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم ٦٤/٩.

د- ومن ذلك ما جاء عن أبى هريرة (ﷺ) قال أخذ الحسن بن علي - رضي الله عنهما - تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له النبي (ﷺ): "كِخْ كِخْ" ليطرحها، ثم قال: "أَمَا شَعَرْتَ أَنّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَة"(١)، جاء الأمر المكرر "كخ كخ" هنا بغير فعل الأمر الصريح، وعدل عنه إلى اسم فعل الأمر الذي يراد به زجر الحسن عن الأكل من تمر الصدقة التي حملت إلى آل البيت.

هـ- وقوله(ﷺ): " قولوا اللهم إنا نعوذ بك " أمر يقصد به التعليم، ورد في حديث تعليم الاستعاذة في الصلاة.

ثانياَ: الاستفهام: وقد خرج الاستفهام إلي المعاني البلاغية الآتية:

أ- **الإنكار**: وذلك في قوله(ﷺ) للحسن بن علي " أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة" حين رآه يأكل من تمر الصدقة فزجره بعبارة " كخ كخ ليطرحها" وحرك خده ليلقي ما في فمه واستخدام الاستفهام في الإنكار لما فيه من استثارة النفس وشدة التنبيه لعله يتأمل في سوء صنيعه ويرتدع، يقول عبد القاهر الجرجاني:" اعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه لينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيى بالجواب"

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي (ﷺ)، رقم الحديث (١٤٩١)، ١٢٧/٢.

ب – الأمر: فعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: أُتِيَ النبيُّ (ﷺ) بقَدَحٍ، فَشَرِبَ منه، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عن يَسَارِهِ، فَقَالَ: يا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ، قالَ: ما كُنْتُ لِأُوثِرَ بفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يا رَسولَ اللَّهِ، فأعْطَاهُ إيَّاهُ"(١).

والاستفهام واقع في قوله " أَتَأْذَنُ لي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ " ويراد منه الأمر بالإذن أي ائذن لي فعل ذلك، والتعبير بالاستفهام أبلغ من الأمر الصريح لما فيه من التلطف بالطفل، وحثه على الفعل بأسلوب رقيق.

ومن الاستفهام الذي قصد به الأمر أيضاً: فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ عِنْدَ أُطُمِ(٢) بَنِي مَغَالَةَ(٣)، وَقَدْ قَارَبَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ صَيَّادٍ يَحْتَلِمُ، فَلَمْ يَشْعُرْ

(١) صحيح البخاري، في كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم، رقم الحديث (٣٢٥١)، ١٠٩/٣.

(٢) الأطم بالضم: بناء مرتفع، وجمعه آطام. النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٥٤/١.

(٣) قال القاضي عياض رحمه الله –: "وبنو مغالة: كل ما كان عن يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد النبي (ﷺ)، وقال بعضهم: بنو مغالة حي من قضاعة". إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٤٧٣/٨.

حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ (ﷺ) ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) " أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟". فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ(١)، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ. فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ (ﷺ): أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) "آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ" قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "مَاذَا تَرَى؟". قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ. قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) "خُلِطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ؟". قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) "إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا". قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ،. قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) "اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ"(٢).

وجاء الاستفهام في قوله(ﷺ) " أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟".

---

(١) هو عبد الله بن صائد، وهو الذي يقال له ابن صياد، كان أبوه من اليهود، ولا يدرى من أي قبيلة هو، وهو الذى يقال: إنه الدجال، ولد على عهد رسول الله (ﷺ) أعور مختونا، ومن ولده عمارة بن عبد الله بن صياد، وكان من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن المسيب، روى عنه مالك وغيره، قال ابن حجر – رحمه الله –: "وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صياد في الصحابة، لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعا، لأنه يموت كافرا، وإن كان غيره فهو حال لقيه النبي (ﷺ) لم يكن مسلما". الإصابة في تمييز الصحابة: ١٤٨/٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم (٣٠٥٥)، ٧٠/٤.

ثالثاً: النداء: ورد من خلال الأحاديث موضع الدراسة في ثلاث مواضع:

أ- ما رواه: عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنه) قال: كنتُ غلامًا في حجْر رسول الله (ﷺ)، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة، فقال لي رسول الله (ﷺ): ((يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يَليك)؛ فما زالتْ تلك طِعْمتي بعدُ"(١).

ب- فعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: أُتِيَ النبيُّ (ﷺ) بقَدَحٍ، فَشَرِبَ منه، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عن يَسَارِهِ، فَقالَ: يا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ، قالَ: ما كُنْتُ لِأُوثِرَ بفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يا رَسولَ اللَّهِ، فأعْطَاهُ إيَّاهُ"(٢).

ج- ما جاء عن الصحابي الجليل أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: "تزوَّجَ رسولُ اللَّهِ (ﷺ) فدخلَ بأَهْلِهِ، قالَ: فصنعَت أمِّي أمُّ سُلَيْمٍ حَيسًا فجعلتهُ في تورٍ(٣)، فقالت: يا أنسُ، اذهَب بِهَذا إلى رسولِ اللَّهِ (ﷺ)

---

(١) صحيح البخاري ٢٠٥٦/٥ حديث رقم٥٠٦١، وصحيح مسلم١٥٩٩/٣ حديث رقم٢٠٢٢.

(٢) صحيح البخاري، في كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم، رقم الحديث (٣٢٥١)، ١٠٩/٣.

(٣) التور: إناء من صفر أو حجارة يتوضأ منه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٩٩/١.

فقل: بَعثَت بِهَذا إليكَ أمِّي وَهيَ تقرئُكَ السَّلامَ وتقولُ: إنَّ هذا لَكَ منَّا قليلٌ يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: فذَهَبتُ بِهِ إلى رسولِ اللَّهِ (ﷺ) فقلتُ: إنَّ أمِّي تقرئُكَ السَّلامَ وتقولُ: إنَّ هذا منَّا لَكَ قليلٌ، فقالَ: "ضَعه"، ثمَّ قالَ: "اذهَب فادعُ لي فلانًا وفلانًا وفلانًا ومن لَقيت"، وسمَّى رجالًا، قالَ: فدعوتُ من سمَّى ومن لقيتُ، قالَ: قُلتُ لأنسٍ: عددُ كم كانوا؟ قالَ: زُهاءَ ثلاثِ مائةٍ قالَ: وقالَ لي رسولُ اللَّهِ (ﷺ): يا أنسُ هاتِ بالتَّور قالَ: فدَخلوا حتَّى امتلأتِ الصُّفَّةُ والحُجرةُ، فقالَ رسولُ اللَّهِ (ﷺ): ليتحلَّق عَشرةٌ عشرةٌ وليأكل كلُّ إنسانٍ مِمَّا يليه"، قالَ: فأَكَلوا حتَّى شبِعوا، قالَ: فخرَجَت طائفةٌ ودخلت طائفةٌ حتَّى أَكَلوا كلُّهم، قالَ: فقالَ لي: "يا أَنَسُ ارفع"، قالَ: فرفَعتُ فما أدري حينَ وضعتُ كانَ أَكْثرَ أم حينَ رفَعتُ"(١).

فقد جاء النداء مفتتحاً لتكليف أو توجيه، وهو استفتاح للحوار يشد به انتباه الطفل حال وقوعه في المخالفة قبل التكليف بالأوامر الواردة، كما أن النداء الرقيق يضفي على الأوامر الواردة جواً من المحبة والألفة.

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، رقم الحديث (١٤٢٨)، ١٠٥١/٢.

رابعا: الصور البيانية

قلة الصور البيانية في خطاب الطفل، إذ إدراك التعبير بها وفهمها يتطلب القدرة على التجريد والتمييز الدقيق، وليس ذلك من خصائص الطفل العقلية بشكل عام.

فقد ورد التشبيه في موضعين:

أ- وذلك في حديث تعليم التشهد في الصلاة: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ. فَكَانَ يَقُولُ: «التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لله، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ"(١).

ب- وما نُقل عن عبد الله بن عباس(رضي الله عنهما) أنه قال " قدم النبي(ﷺ) على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة وقال: أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا، فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله(ﷺ)"(٢)

---

(١) صحيح مسلم ٤٠٣.

(٢) صحيح مسلم٢/٩٥٣ حديث رقم ١٣١٦ باب وجوب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق.

(٣) عمدة القارىء ١٥/٥٥.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم ٩/٦٤.

والتشبيه في قوله " كذا فاصنعوا " حيث شبه الصنيع المطلوب في سقيا الحجيج بصنيع بني العباس في سقيا النبيذ، والغرض بيان حال السقيا المطلوبة في الحج، وتعليم هذه الكيفية للمسلمين، وقد مدح النبي(ﷺ) صنيعهم بقوله: "أحسنتم وأجملتم" أي فعلتم الحسن.

وجاءت الاستعارة التبعية في موضع واحد فقط: عند قوله (ﷺ) – لابن صياد: "خلط عليك الأمر" استعارة تبعية[1]، فقد استعار (ﷺ) لفظة "خلط" بدلاً من "اشتبه"؛ لتدلنا هذه الصورة على مدى ما وصل إليه حال ابن صياد من التخبط واشتباه الأمور عليه؛ حتى صارت مختلطة في ذهنه، ولا يؤدي هذا المعنى بصورته التي تشعر بحقيقة ما وصلت إليه حال ابن صياد النفسية من هذه الصورة البيانية الرائعة.

خامسا: توظيف المحسنات البديعية:

و قد ظهرت في موضعٍ واحدٍ فقط، وذلك في قوله (ﷺ): "أنت جميلة" للطفلة التي كان اسمها عاصية، يظهر محسن معنوي، هو: "المطابقة" للجمال مع العصيان، فـ "عاصية" في حقيقة الكلمة قبح، وشين، بيد أن المطابق لـ "عاصية" بديهة هو كلمة طائعة أو مطيعة، فالطاعة مطابقة للعصيان، ولما كان العدول عن كلمة طائعة من رسول الله (ﷺ) عدولاً عن التزكية للنفس، وهو الأمر المنهي عنه في

(٥) الاستعارة التبعية: قال الخطيب القزويني – رحمه الله –: "وإلا فتبعية كالفعل وما يشتق منه". التلخيص: ص٣٢٦

القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[1]، وقال رسول الله (ﷺ): "لا تزكوا أنفسكم، إن الله أعلم بأهل البر منكم"[2]، ولم يشأ أن يسميها طائعة، أو مطيعة، واختار (ﷺ): في المقابل كلمة "جميلة"، ليقرر (ﷺ) ويعلم الطفلة وسائر الأطفال أن الطاعة هي جمال كامل في حد ذاتها، وحقيقتها جمال، والتطابق[3] في الحديث اعتباري يهدف إلى غاية وهي التعليم والإرشاد النبوي الكريم.

(١) سورة النجم آية: ٣٢.

(٢) أخرجه صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما رقم الحديث: (٢١٤٢)، ١٦٧٨/٣.

(٣) التطابق هو: "الجمع أى في الذكر بين متضادين أي معنيين متضادين في الجملة، اي سوءا أكان التقابل من وجه ما، أن من كل وجه، وسواء أكان التقابل حقيقيا أو اعتباريا". عروس الأفراح: ٣٢٩/٤.

الخاتـــــمة

نحمد الله ونشكره على ما منَّ بـــه وتفضـــل مـــن إتمـــام هـــذا البحث، وإني لأرجو من الله تعالى أن يكون قد حقـــق مـــا أصـــبو إليه مـــن الكشـــف عـــن جانـــب مضـــيء مـــن جوانـــب بلاغـــة النبي(ﷺ) وهو بيان الأساليب والوسائل التعبيريـــة لبنيـــة الإرشـــاد النبوي مع الأطفال فـــي أحاديـــث الصـــحيحين، ويمكـــن تلخـــيص النتائج التي توصلت إليها على النحو التالي:

١-التأكيد على إبراز الناحية الجمالية في الألفـــاظ والعبـــارات، وإظهارها للطفل هي سمة خطاب الرسول(ﷺ) ولابد للمختصين في دراسات الأطفال من مراعاتها في كتاباتهم أو خطابهم للأطفال.

٢-ضرورة بدء الخطاب بأسلوب النداء، حيث يهيئ الطفل ويشد انتباهه؛ لتلقي المعلومات ؛ وكذلك للإحساس بالمشاعر الحانية.

٣-ربط التعليم والإرشاد بالمواقف والأحداث أســـلوب متكـــرر للرسول(ﷺ)، يثبت المعلومة في ذهن الطفل ويعزز السلوك الحسن.

٤-أسلوب الإيجاز من أقوى الأساليب فـــي الخطـــاب الموجـــه للطفل، حيث يحقق له سرعة الفهم وسهولة الحفظ والجـــرأة علـــى المبادرة بالتطبيق.

٥-أهمية استعمال أسلوب الاستفهام في الخطاب الموجه للطفل، وما قد يصاحبه من حوار حيث يعطي الطفل الحرية في التعبير والفرصة للتبرير.

٦-أهمية الجانب العاطفي في التعامل مع الطفل، والتأكيد على إظهاره في خطاب الطفل أو عند الكتابة له، إذ إن هذا الأسلوب يذهب عنه الخوف، ويملأ نفسه بالثقة فيمن يعلمه أو يرشده.

٧-ربط الدراسات البلاغية بالدراسات النفسية الحديثة- أسوة بالدراسات الأدبية- مما يثري علوم البلاغة، ويربطها بالعلوم العصرية، ويجعل علومها متداولة بين أكبر شريحة من المثقفين.

٨-التأكيد على إدراك الرسول لطبيعة النفس البشرية في جميع مراحلها العمرية وحاجاتها لتنمو وترتقي في سلم الأخلاق الفاضلة، وما كانت جهود علماء التربية والنفس والاجتماع في العصر الحديث إلا التعبير عنها ووضعها في قوالب اصطلاحية بعد دراساتهم القيمة، إذ وظيفته(ﷺ) الدعوة إلى توحيد الله -تبارك وتعالى- وإصلاح النفوس وتزكية الأخلاق.

٩-ضرورة استصحاب صفات الرسول(ﷺ) وأخلاقه وبهائه، وجمال صورته، ونبرات صوته، وعظم بلاغته، وفصاحته التي تؤثر أعمق تأثير في نفوس المخاطبين مع كل دراسة تختص بالحديث الشريف ؛ لتتكامل الصورة في الأذهان بجميع جوانبها عن

هذا الوحي الثاني ويقر المخالف والمعاند بكمال الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لهداية البشر وتنشئة أطفال مميزين في العالم.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لاإله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن دقيق العيد، تقي الدين محمد بن علي القشيري، شرح الأربعين النووية (مؤسسة الريان،٢٠٠٣م).

٢. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، ت:أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف -الطبعة الأولى (١٤١٥ ه/ ١٩٩٤م).

٣. اتفاق المباني وافتراق المعاني،ت: أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقى الدين المصري، ط: دار عمار -عمان، الطبعه الأولى ١٩٨٥م.

٤. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ت: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، ط: دار خضر للطباعه والنشر والتوزيع -بيروت لبنان - الطبعه الثالثة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٥. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: ابن دقيق، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، بدون تاريخ.

٦. اختلاف الحديث للإمام الشافعي، الناشر: دار المعرفة، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٧. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط السابعة، ١٣٢٣هـ.

٨. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥ ه/ ١٩٨٥ م.

٩. أسرار البلاغة، ت: الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، ط مطبعة المدني القاهرة ١٤١٢ ه.

١٠.الإصابة في تمييز الصحابة، ت: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٥ ه.

١١.الأصوات اللغوية / ت: إبراهيم أنيس، ط: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهره ٢٠١٠م.

١٢.الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي المتوفي ١٣٩٦ ه، ط- دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

١٣.الإفصاح عن معاني الصحاح ليحيى بن هبيرة الشيباني، تحقيق/ فؤاد عبد المنعم أحمد، نشر دار الوطن ١٤١٧هـ.

١٤.إكمال المعلم بفوائد مسلم، ت: أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ط: دار الوفاء الطبعه الثانيه – ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٥.الإيضاح في علوم البلاغة للإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين الخطيب المعروف بالقزويني، تحقيق مجدي السيد، ط: المكتبة التوفيقية.

١٦.البارع في اللغة، ت: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، ط: مكتبة النهضة، بغداد دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

١٧.البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، ت: بن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ط: دار الهجرة للنشر والتوزيع الرياض السعودية، الطبعة الأولى، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

١٨.بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، ت: علي بن محمد بن عبد الملك الفاسي، أبو الحسن بن القطان، ط: دار طيبة، الرياض الطبعة الأولى (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

١٩.التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ت: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤ م.

٢٠.تحفة الأحوذي للإمام الحافظ أبي العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ط: دار الحديث القاهرة،(١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٢١.التشويق في الحديث النبوي، ت: بسيوني فيود، ط: مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ١٤١٤ ه.

٢٢.تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار النشر: دار الفكر بيروت.

٢٣.التلخيص في علوم البلاغة، ت: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، ط: دار الكتاب العربي بيروت.

٢٤.تمام المنة في التعليق على فقه السنة، ت: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار الراية الطبعة الخامسة.

٢٥.التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن الشافعي، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، ط الأولى،١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م.

٢٦.دلالات التراكيب تأليف: محمد أبو موسى، ط: مكتبة وهبة ١٣٩٩ ه.

٢٧.دلائل الإعجاز في علم المعاني، للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، ط: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٢ه.

٢٨.رعاية حال المخاطب في الصحيحين، تأليف: الدكتور يوسف العليوي، رساله دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٢٩ ه.

٢٩.شرح مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، ط: المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٦ ه.

٣٠.صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله(ﷺ) وسننه وأيامه صحيح البخاري: تأليف محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ط: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه.

٣١. صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله(ﷺ) ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣٢.عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تأليف: بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢ ه.

٣٣.علم النفس النمو، تأليف: فادية حمام وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٣٠ه.

٣٤.فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ط: دار السلام الرياض، ١٤٢١ ه/ ٢٠٠٠م.

٣٥.الفقه على المذاهب الأربعة، تأليف: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٦.الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تأليف: محمد بن الحسن الحجوي الفاسي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢٧ ه.

٣٧. في أدب الأطفال د/ محمد صالح الشنطي /طبع دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية، ط الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٣٨.القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط: دار الحديث القاهرة ١٤٢٩ه.

٣٩.كيف تتحدث فيصغي إليك الصغار، تأليف إديل فبرو إلين مازا ليش، ترجمة: فاطمة صبري، ط: مكتبة العبيكان الرياض ١٤٢٩ ه.

٤٠.كيف نعيش مع الأطفال، تأليف: أديس نيسر، ترجمة: سامي جمال، ط: مؤسسة فرانكلين، القاهرة، نيويورك.

٤١.لسان العرب المؤلف محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ط: دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ ه.

٤٢.المجازات النبوية، تأليف: الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م.

٤٣.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤٤.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت- لبنان، ط الأولى،(١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

٤٥.المستدرك على الصحيحين، المؤلف أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ ه/ ١٩٩٠م.

٤٦.مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٤٧.المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم – تأليف: العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٨ه.

٤٨.معاني النحو، تأليف: فاضل صالح السامرائي، ط: دار الفكر، عمان ١٤٣٢ ه.

٤٩.معجم البلاغة العربية، تأليف بدوي طبانة، ط: الثالثة، جده، دار المنارة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٠.المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، ط: مكتبه الشروق القاهرة ١٤٣١هـ.

٥١.معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩ ه.

٥٢.نصب الراية لأحاديث الهداية، تأليف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ط: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٥٣.النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير ط، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٣٢ ه.

٥٤.نيل الأوطار من حديث سيد الأخيار، للشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي ، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ،١٩٩م).